وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور يحيى فارس بـالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

البعد الحجاجي للتسلية في القصص القرآني
نماذج مختارة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

التخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبة:
❖ زينب بوخليف

الأستاذ المشرف:
أ.د/ عبد الرحمن بلحنيش

السنة الجامعية: 2023-2024

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور يحيى فارس بـالمدية
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والادب العربي

البعد الحجاجي للتسلية في القصص القرآني
نماذج مختارة

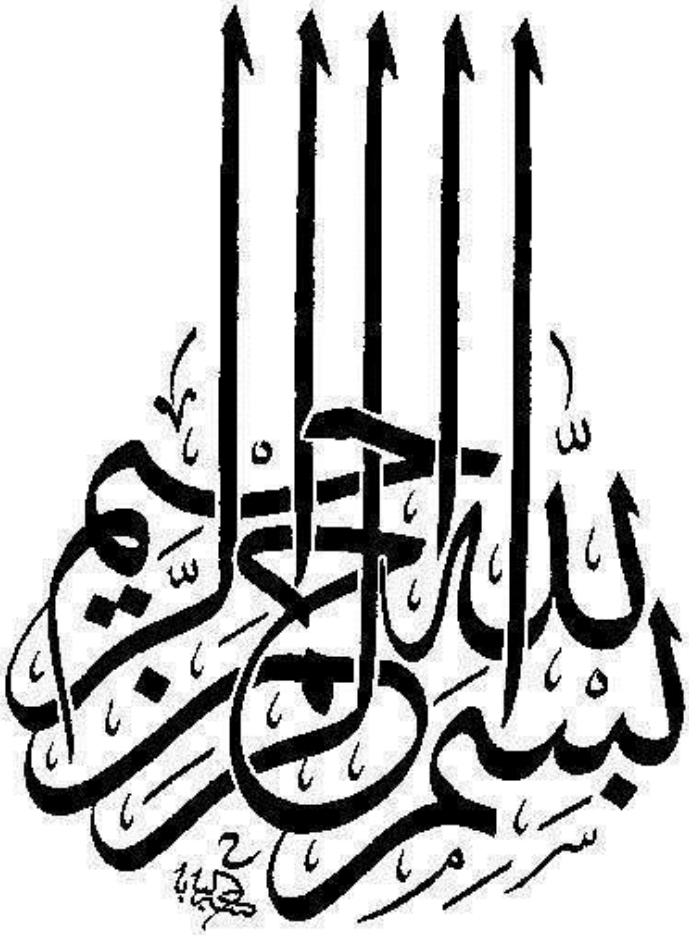
مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

التخصص : لسانيات الخطاب

إعداد الطالبة:
❖ زينب بوخليف

الأستاذ المشرف:
أ.د/ عبد الرحمان بلحنيش

السنة الجامعية: 2023-2024



[وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون].

سورة التوبة الآية: 104

شكر وعرفان

الحمد لله الذّي بنعمته تتّم الصالحات من الأعمال، الحمد لله واهب الحياة له وحده، نحمدك ربّنا ونشكرك أن أكرمتنا ويسّرت دراستنا وإتمام بحثنا وأسبغت علينا بنعمك ظاهرة وباطنة.

أتّقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف: عبد الرحمان بلحنيش، على ما بذله من جهد وما أبداه من توجيه، وتسديد وإعانة، فبارك الله له وجزاه عنا خير الجزاء.

كما أشكر كلا من ساعدني وساندني من قريب أو بعيد من أساتذة وطلبة من بداية عملي في المذّكرة إلى نهايته، وأخصّ بالذكر الأستاذ: ميلود عبابسي. وأختي الفاضلة: الأستاذة: إلهام بوخليف التّي ما توانت عن مساعدتي فلها جزيل الشكر.

وإلى زميلاتي اللواتي ساندني في بحثي هذا : عائشة شوّاش، نعيمة ضيف الله ونور الهدى شبايكي.

ولا أملك في الأخير إلاّ دعائي هذا:"يا ذا الجلال وإكرام زد أساتذتي علما وأدبا واجعل كلامهم ذكرى، رب حرّم أجسادهم من عذاب القبر واعتق رقابهم من حرّ الجمر واجمع شملهم عند حبيبك المصطفى –صلى الله عليه وسلمّ– و اجعل آخر دعواهم رضاك ورؤية وجهك الكريم " يا ربّ العالمين.

الإهداء

إلى من زرعا فينا تقوى الله وحبّ العلم، إلى من استحقا أن تكون الجنة تحت قدميهما "والدي ووالدتي الغالية" أطال الله عمرهما ومنحهما الصحة و العافية.

إلى صاحب القلب الكبير الذّي كلّت أنامله ليقدّم لنا السعادة "والدي الغالي" حفظه الله.

إلى من عشت معهم ذكريات الصغر إخوتي الأعزاء: رفيق، عامر، كمال، مهدي، إلهام، شيماء، وإلى أبنائهم.

إلى عائلتي الصغيرة زوجي الغالي: توفيق وإلى فلذّاتي كبدي: كوثر وجابر.

إلى من أكنّ لهم كلّ الامتنان والشكر صديقات الدراسة.

أهدي لهم ثمرة هذا العمل المتواضع.


مقدمة

القرآن الكريم كتاب الله العزيز، فهو أحسن الحديث وأجود الكلام، وهو نسيج ذو نظم بديع، وأسلوب فريد، مجّدد في تجلّياته وفتوحاته يدفعنا بغير حول منا ولا قوة إلى التّدبر فيه وتحرّي إعجازه، من خلال ممارسة أفعالنا التفكيرية والمنهجية، ولعلّ أبرز ما فيه: الخطاب القرآني، الموجه للفكر الإنساني، لدفعه لإعمال العقل والتدّبر بهدف ملاحقة الآراء، وإثبات سلامتها وسيرورتها، أو دحض الآراء المخالفة ونقضها، وبهذا يمكن اعتباره حجاجيا كونه جاء ردّا على العقائد الفاسدة ودحضها والدعوة إلى إعمال العقل والتّدبر في الخلق واتّباع سير السّابقين من الأنبياء والمرسلين في مشاهد قرآنية عظيمة، تجّلت في القصص القرآني التّي تعتبر المؤشّرات الأساسية لتغطية مراحل الرسالات التّي عاشها الإنسان، حتّى ظهور الرسالة المحمّدية مصوّرة المشهد المنظور، ليرتقي بالصورة التّي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة أو الحركة المتجدّدة، والذّي من أهم مقاصده تثبيت 11فؤاد الرّسول –صلى الله عليه وسلم– وتسليته.

وضمن هذا الإطار تمّ اختيار موضوع الدراسة، المتمثّل في الحجاج في النص القرآني، على اعتبار هذا الأخير خطابا حجاجيا، كونه جاء رداً على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه، فيطرح بذلك أمرا أساسيا متمثلاً في عقيدة التوحيد مقدما حججا مختلفة، ولعلّ في اختلاف مستويات التلقي ما يؤكد الصفة الحجاجية للقرآن.

وعليه جاءت الدراسة موسومة ب: " **البعد الحجاجي للتسلية في القصص القرآني – نماذج مختارة–**"

وهناك مجموعة من الأسباب التّي دعتنا إلى اختيار هذه الدراسة:

– الرغبة الملحة في دراسة جانب من جوانب القرآن الكريم لمعرفة الجزء البسيط من أسراره.

– الاهتمام الشّديد بموضوع القصص القرآني وآثارها ومقاصدها في تسوية السّلوك النفسي.

– محاولة اكتشاف مفهوم التسلية في القرآن الكريم عامة والقصص القرآني خاصة.

- تحرير فكرة التسلية من مجرّد اللعب واللهو والبحث في معانيها.
- التركيز على الآثار النفسية للتسلية في القصص القرآني.
- محاولة تحليل القصص القرآني ضمن سياق تفاسير القرآن لمحاولة استيعاب الأغراض الحقيقية لأسباب النزول.

ومن هذا المنطلق سنناقش أفكار هذا الموضوع من زاوية حجاجية مستندة على نماذج مختارة من القصص القرآني لاشتمالها على صور التسلية، كقصص الأنبياء وقصص الصالحين وقصص النساء، والأثر النفسي الذي تركته في نفس النّبي –صلى الله عليه وسلم– والصّحابة والتابعين، وأمام هذه التّصورات وجدنّا أنفسنا أمام الإشكالية المطروحة التالية:

- كيف تجلت آثار التسلية في القصص القرآني؟

وتفرّعت هذه الاشكالية إلى عدّة تساؤلات منها:

- ما مفهوم الحجاج وأهم مصطلحاته؟، وأين ظهرت ملامحه في التراث العربي والمسار الحديث؟، وما هي التقنيات الحجاجية؟.
- ما مفهوم كلّ من القصص القرآني والتسلية؟ وما مدى تأثير كلّ واحدة في الأخرى؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات، انتهجنا مسارا في الدراسة، وفق خطّة ارتأينا إلى تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، على النحو التالي:

أمّا الفصل الأول فتتبعنا فيه "القرآن الكريم والحجاج". وقد تضمنّ ثلاثة مباحث يتفرّع كلّ مبحث إلى عدّة نقاط. محاولين فيهم بيان مفهوم القرآن الكريم وأقسامه، وحجّية النّص القرآني والفكر الحجاجي عند بعض الأعلام الذين تناولوه في كلّ من الثقافتين العربية والغربية، كما تحدّثنا عن تقنيات الحجاج في اللغة .

وجاء الفصل الثاني معنوناً "حجاجية التسلية في القصص القرآني" ، تضمّن ثلاثة مباحث كلّ مبحث يحتوي على عدّة نقاط، الأول تحدث عن مفهوم القصص القرآني وأغراضه، أمّا الثاني

فكان مفهوم التسلية وأدّلتها من القرآن الكريم، أمّا بالنسبة للثالث فتحدّثنا فيه عن أثر التسلية على المتلقي.

أمّا الفصل الثالث فقد كان فصلا تطبيقيا عنوناه ب" الأبعاد الحجاجية للتسلية في القصص القرآني" حيث قسّمناه إلى ثلاثة مباحث، تحدّثنا في المبحث الأول عن الأبعاد الحجاجية في قصص الأنبياء، والثاني كان في قصص نساء القرآن، أما المبحث الثالث كان عن قصص الصالحين .

وأخيرا ختمنا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث.

وقد تطّلبت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره الأنسب في تحليل الآليات الحجاجية، حيث يبدأ من تحليل الروابط الحجاجية وعناصر الخطاب والتراكيب والدّلالات.

ومن خلال دراستنا نروم إلى جملة من الأهداف أهمّها:

- محاولة الخروج بالقصص القرآني من خلفياته الداعمة لوحدانية الله، وكذا معرفة أحوال الأمم السابقة إلى الكشف عن باقي مقاصده.
- إبراز الجانب النفسي للرسول –صلى الله عليه وسلم– في القصص القرآني.
- محاولة تبسيط القصص القرآني من أجل اعتماده في المناهج التربوية للأطفال.
- إثبات أنّ الكلام في القصص القرآني كلام حجاجي.

ولعلّ من أهم الدراسات السابقة التي انصبّت في موضوع بحثنا نذكر ما يلي:

- زهران عمر الزهران ومحسن سميح الخالدي، تسلية الأنبياء والأولياء دراسة قرآنية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- السيد فاروق محمد عبد الرحمان، القصص القرآني ودفع ما أثير حمله من شبهات، حولية أول الدين والدعوة ، المنوفية، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية.

كما اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المراجع، أهمّها: الحجاج في القرآن لصولة عبد الله، استراتيجيات الخطاب لظافر الشهري، ، ومجموعة من التفاسير كتفسير التحرير والتنوير، تفسير القرآن العظيم، تفسير الطبري، وقصص الأنبياء لابن كثير، لأنّه لا يمكن النظر في النص القرآني إلاّ من خلال التفاسير.

بيد أنّ رحلة البحث ما كنّا لنقطعها دون أن نتعثّر ببعض ما صادفنا من الصعوبات أمام الدستور الإلهي العظيم، المطلق ببيانه وإعجازه متسائلا أنّ لفهمي القاصر والإدراك النسبي للوصول إلى الغايات وأحسن الفهم، لكنّ كتب التفاسير وكتاب ضلال القرآن فتحو لنا رغبة لا نستطيع وصفها، فأصبحنا باحثين مستزيدين، وهذا لا نعتبره صعابا وإنّما هو لذّة ومتعة وجدناها في نمو أفكارنا خاصة مع العثور على المراد من الأفكار والاستنتاجات.

وفي الأخير لا يسعنا في هذا المقام إلاّ التقدم بالشكر الجزيل لأستاذي "عبد الرحمان بلحنيش" الذّي كان له فضل السبق في إيجاد موضوع المذّكرة فاتحا عليّ نافذة كنّا نرجو ولوجها، فجزاه الله عنّا خير الجزاء، والذّي وضع كلّ ثقته فينا لنصل إلى الهدف المطلوب، زارعا فينا حبّ الإطّلاع والبحث وقراءة كتب الجهابذة، التّي رفعت مستوى تطّلعاتنا. والذّي لم يبخل علينا، بارك الله فيه كلّما احتجناه وجدناه داعما نفسيا في المقام الأول لمسيرتنا، فكلّ الشكر والعرفان والتقدير.كذلك نتقّدم بالشكر الجزيل إلى الأخت الغالية التّي قدمت لنا يد العون في كلّ خطوة في بحثنا هذا، حتّى نكاد نقسم أنّها سهرت عليه بقدر سهري، راجية من المولى –عزّ وجّل– أن يجزيها عنا خير الجزاء.

فإن أحدثنا وأصبنا بجهدنا فهذا عظيم الهدف وكريم المقصد، فهو توفيق من الكريم المعطي بغير حساب، وإن حدنا عن سكّة ما رسمنا فذلك من سهو النفس التي سعت وسعيها وجه آخر للاجتهاد.


الفصل الأول

الفصل الأول: القرآن الكريم والحجاج

المبحث الأول: القرآن الكريم: حجّيته وأقسامه.

المبحث الثاني: الفكر الحجاجي عند العرب والغرب.

المبحث الثالث: تقنيات الحجاج.

تمهيد:

كان نزول القرآن الكريم هو الدافع الأساسي لظهور العلوم عامة وعلوم اللغة خاصة، فاتّجهوا إلى بلاغة القرآن الكريم، لتكون لهم عوناً لفهم تأويلاته ومواطن إعجازه، ليكون أوّل مصدر يستنبطون منه القواعد التي تخضع لها البلاغة، ملتفتين إلى السبل المعتمدة للإقناع والاحتجاج، واضعين شروطا للمتكلّم و يولي المتلقي عناية خاصة، كما اهتموا بالسّياق الذي يرد فيه الخطاب.

المبحث الأول: القرآن الكريم حجّيته وأقسامه

المطلب الأول: مفهوم القرآن الكريم

1-لغة:

إنّ تحديد مفهوم القرآن الكريم بوصفه نّصا مقدّسا يضطّرنا إلى ضرورة الوقوف العقلاني والعلمي والأخلاقي أمامه، وعليه بداية علينا تتبّع المادة المعجمية، ففي لسان العرب لابن منظور(ت711هـ) نجد أنّ المادة اللغوية (ق،ر،أ) تعني " قرأ، القرآن، التنزيل العزيز، وإنّما قدم على ماهو أبسط منه لشرفه"[1]. وقد ذكر ابن منظور عن أبي إسحاق النحوي فقال:" يسمى كلام الله تعالى الذّي أنزله على نبيّه- صلى الله عليه وسلم- كتاباً وقرآناً وفرقاناً، وهو بمعنى الجمع، وقد سمّي قرآنا لأنّه يجمع السور، فيضّمها، لقوله تعالى:چ يـ □ □ □ □چأي جمعه وقراءته، وجاءت الآية بعد ذلك قال تعالى:چ □ □ □ □ □ چأي قراءته"[2].

وقد ذكر الزّجاج "إنّ لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع، وم1نه قرآ الماء في الحوض إذا جمعه، ويقال القرآن بمعنى الجمع لأنّه يجمع ثمرات الكتب السابقة"[3].

وذكر أيضا قول ابن عباس -رضي الله عنهما-، فقال:" فإذا بيّناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيّناه لك، وقال أيّضا في لسانه: ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا، أي ألقيته(...)، وسمّي القرآن لأنّه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، وقد يطلق على الصّلاة لأنّ فيها قراءة، تسمينه للشيء ببعضه"[4].

---

[1] جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، 2000م، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] أبو إسحاق إبراهيم بن سرّي الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د عبد الجليل عبدو الشّلبي، عالم الكتب، الجزء الأول، ص21.

[4] المرجع نفسه، ص 53.

وقد قيل:" إنّ اسم القرآن مشتق من القرء بمعنى الجمع؛ لأنّه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة، وقيل هو أوّل أسماء الكتاب العزيز وأشهرها، وأصحّ الأقوال في شرح معناه اللّغوي أنّه مرادف للقراءة، ثم نقل من هذا المعنى المصدّري وجُعِل اسما لكلام الله المنزّل على نبيّه–صلى الله عليه وسلم–"[1].

ومن أسمائه:

- **الفرقان:**"ويعني أنّه الكلام الذّي يفرّق بين الحّق والبّاطل"[2]، قال الله تعالى چ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ چ[3].
- **الكتاب:** قال تعالى:چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ چ"[4].
- **الذّكر:** قال تعالى:" چ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛچ[5]
- **التنزيل:** قال الله تعالى:" وإنّه لتنزيل ربّ العالمين"[6].

وبعناية الله –عزّ وجّل– بقي القرآن الكريم محفوظا في الصّدور وعْداً منه لقوله تعالى:چ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ چ[7].

2–اصطلاحاً:

هو تعريف لا يختلف فيه اثنان، حفظه قبل الكبار، تدارسه طّلاب العلم من مهودهم إلى لحودهم، هو ذلك التعريف الجامع الذّي مطلعه:" القرآن هو اللفظ العرّبي المعجز، الموحى به

[1] الدكتور مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب ساو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطّيب، دار العلوم الانسانية، دمشق، د ت، الطبعة الثانية 1998، ص13.

[2] المرجع نفسه ، ص 13.

[3] سورة الفرقان، الآية: 01.

[4] سورة آل عمران، الآية : 03.

[5] سورة الأنبياء، الآية: 50.

[6] سورة الشعراء، الآية :192.

[7] سورة الحجر، الآية : 09.

إلى محمد- صلى الله عليه وسّلم- بواسطة جبريل-عليه السّلام-، وهو المنقول بالتّواتر، المكتوب في المصحف، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النّاس"[1].

2-1 شرح عناصر التعريف:

- **المعجز:** " القرآن هو معجزة الرّسول الكبرى، وقد أعجز العرب وهو أهل الفصاحة بمّا تضمّنه من فصاحة وبلاغة، وأنباء الغيب وأخبار الأمم السّابقة، وما حواه من إعجاز علمي، وتشريع محكم دقيق صالح لكلّ زمان ومكان(...)، ولا شّك أنّ هذا الإعجاز هو المقصد الأوّل من إنزال القرآن، إثباتاً لرسالة ونبوّة محمد-صلى الله عليه وسلم-"[2].

- **الموحى به:**قال سبحانه وتعالى:چ ذ ذ ث ث ث چ"[3]، "فالقرآن الكريم بجميع ألفاظه ومعانيه منزّل من الله عزّ وجّل على محمد بن عبد الله-صلى الله عليه وسّلم- بواسطة جبريل"[4].قال تعالى:چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ[5]

- **المتعبّد بتلاوته:** وهذا يعني أنّ قراءة الآيات عبادة يتقرب بها المؤمن من خالقه، ويُكتب له بها الأجر العظيم(...)، فالصّلاة لا تصّح إلاّ بقراءة آيات من القرآن، ولا يغني عنه شيء من الأذكار والدّعاء[6].

- **المنقول بالتّواتر:** ومعنى التّواتر هو نقل الجمع عن الجمع، بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب، ومن المُسَلَم به تاريخياً أنّ أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تلقّوا القرآن مشافهة من فم رسول الله وحفظ أكثرهم، ونقلوه إلى جيل التّابعين وهكذا بقي القرآن

---

[1] المرجع السّابق، ص13.

[2] الدكتور مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب ساو، الواضح في علوم القرآن ، ص15.

[3] سورة النجم، الآية:04.

[4] المرجع السابق، ص16.

[5] سورة الشعراء، الآية: 177.

[6] المرجع السابق، ص23.

ينتقل من جيل إلى جيل آخر حتّى وصلنا، وهذا يجعلنا نُجزم بأنّ القرآن نُقل إلينا بالتّواتر[1]. قال الله تعالى:چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ"[2]. فالمتدّبر للقرآن الكريم يعلم يقيناً أنّه الحافز الأسمى للوصول إلى أرفع شأنٍ، وعلو القدرِ، وقوّة التمكين، به ترقى الأمم، فلقد قال الله تعالى:چ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ چ[3].

أمّا تعريف القرآن الذّي اتّفق عليه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية" أنّه الكلام المعجز المنزّل على سيّدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر، المتعبّد بتلاوته"[4].

فهو الحافز المحرّك للعقل البشري، الذّي يستطيع به الإنسان إدراك الحسن من القبيح، والضّار من النّافع، ولأنّه لم ينزّل لطائفة محدّودة الزّمان والمكان، فإنّنا نجده قد انتهج أساليب في الحضّ على التفكير ودفع العقل إلى التّدبر، وذلك لمراعاة جميع المستويات الفكرية للبشر.

المطلب الثاني: أقسام القرآن الكريم

المتمعّن في القرآن الكريم يعرف تمام المعرفة أنّه جاء حاملا في طيّاته أسرار الكون وإبداع الخالق فيه، ودعوة واضحة للعباد لعبادته، ولأجل هذا قسّم العلماء الكتاب العظيم إلى ستة أقسام هدفها شرح مقاصد القرآن:

1–في تعريف المدعو إليه: وفي هذا القسم نجد أنّه حتى هو قُسِّم إلى مراتب:

أ– معرفة ذات الحّق تبارك وتعالى:

فهو الياقوت الأحمر[5]، أي أنّ حتى في هذا القسم هناك مراتب في شرح معرفة الله ، فمعرفة الله تكون بالدّرجة الأولى وتليها صفاته –عزّ وجلّ– وبعدها معرفة الأفعال، فمعرفة الذّات

---

[1] المرجع نفسه،ص 23.

[2] سورة الحجر،الآية : 09.

[3] سورة النسّاء، الآية:82.

[4] صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 10، 1958، ص21.

[5] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، جواهر القرآن ودرره ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، طبعة حديثة، ص6.

الإلهية أضيق مجالاً وأعسر منالاً وأعصاها على الفكر وأبعدها عن قبول الذّكر، ولذلك لا يشتمل القرآن منها إلاّ على تلويحات وإشارات، ويرجع ذكرها إلى ذكر التقديس المطلق[1]، قال الله تعالى: چ ذ ث ثث ث ث ث چ[2].

ب- **الصّفات:**

أمّا هنا فالمجال يكون فسيحا والنّطاق أوسع، ولذلك كثرت الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة والحكمة والسمع والبّصر وغيرها[3]. وهذا نجده كثيرا في آيات الكتاب:

قال الله تعالى:چڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ چ[4].

قال الله تعالى: چ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۇ ۇ و وچ[5].

قال تعالى:چ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ چ[6].

ج- **الأفعال:**

بحر متّسعة أكنافه ولا تنال بالاستقصاء أطرافه بل ليس في الوجود إلاّ الله وأفعاله، وكلّ ما سواه فعله، لكن القرآن يشتمل على الجّلي منها الواقع في عالم الشّهادة كذكر السّموات والكواكب والأرض والجبال، والشّجر والحيوان والبحار والنّبات وإنزال الماء الفُرات وسائر أسباب النّبات والحياة، وهي التّي ظهرت للحّس وأشرف أفعاله وأعجبها وأدلّها على جلالة صانعها[7]، وهنا تظهر الأعمال الغيبية التي تفوق مدركات الإنسان وتظهر في الملكوت وفي الملائكة وفي عالم الجّن والشّياطين، وفي الجنة والنّار، وكلّ هذه الغيبيات تفوق فكر الإنسان المحدود وإدراكه .

2- في تعريف طريق السّلوك إلى الله:

---

[1] المرجع نفسه، ص6.

[2] سورة الشورى، الآية: 11.

[3] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، جواهر القرآن ودرره ، ص7.

[4] سورة هود، الآية: 90.

[5] سورة آل عمران، الآية: 163.

[6] سورة البقرة، الآية: 192.

[7] المرجع السابق، ص7.

وفي هذا القسم رسم الغزالي له صورة واضحة بحيث أكّد أنّ الرّضوخ التام والانصياع فيه لإرادة المولى –عزّ وجّل–، قال الله تعالى:چ چ چ چ چ[1]. فالتّبتل عنده هو" الانقطاع إليه "[2]، أي يكون الإقبال على الله و الانقطاع والإعراض عن غيره، كما أكّد أنّ "الملازمة لذكر الله والمخالفة لما يشغل عن ذكر الله وهذا هو السّفر إلى الله وليس في هذا السفر حركة من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه"[3]، ويمكن اختصار هذا القسم كلّه في الآية العظيمةچ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ[4]، وهذا يدّل على أنّ الطّريق الذي رسمه الله – –عزّ وجلّ– لعباده يبدأ من الوريد الذي به يحيى الإنسان ويموت ومنه يعرف الإنسان المتدّبر الطّريقة والسّبيل.

3–في تعريف الحال عند ميعاد الوّصول:

وهذا القسم يشتمل على " ذكر الرّوح والنعيم الذّي يلقاه الوّاصلون (...)، ويشتمل على ذكر الخّزي والعذاب الذّي يلقاه المحجوبون عنه(...)، ويشتمل على ذكر مقدّمات أحوال الفريقين والحشر والنّشر والحساب والميزان والصّراط، ولها ظواهر جليّة تجري مجرى الغذاء لعموم الخلق، ولها أسرار غامضة تجري مجرى الحياة لخصوص الخلق"[5]، ويحتوي ثلث القرآن الكريم على كلّ هذه الغيبّيات والإعجازات العظيمة لذا يحتاج إلى الكثير من العناية والبحث والتّمحيص لحمله دلائل إعجاز الخالق، بحيث يمكن اعتبار هذا القسم "الزّمردة الأخضر"[6].

4–في أحوال السالكين والناكبين:

وفي هذا القسم تتجلّى أحوال السّالكين كما ذكرهم فقال:" هي قصص الأنبياء والأولياء كقصّة أدم ونوح وابراهيم وموسى وهارون وزكرياء ويحيى وعيسى ومريم وداود وسليمان ويونس ولوط

---

[1] سورة المزّمل، الآية:8.

[2] المرجع السابق، ص9.

[3] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، جواهر القرآن ودرره ، ص9.

[4] سورة ق، الآية :16.

[5] المرجع السابق، ص9.

[6] المرجع نفسه ، ص12.

وادريس والخضر وشعيب وإلياس ومحمد وجبريل وميكائيل والملائكة وغيرهم"[1]، وكما ذكر الصّالحين كان لابدّ من ذكر الأشقياء والجاحدين وأحوالهم" كالنمرود وفرعون وعادٍ وقوم لوط وقوم تبّع* وأصحاب الأيكة* وكفّار مكة وعبدة الأوثان وابليس والشّياطين وغيرهم"[2]، ويمكن اعتبار هذا القسم تذكير وتنبيه للعقول الباحثة لأنّه اشتمل على أسرار وإشارات تحتاج إلى التّفكر الطّويل عمّا يراد من هذه العبر للأقوام السّابقة حتّى يعتبر من اعتبر وينتهي من ينتهي، كما تعتبر القصص القرآنية ملجأ الأولين والآخرين لأنّها تبث فيهم الأنس والطمأنينة والهداية والنصر والخوف والرّجاء والاعتبار، ولنا في القصص القرآني حديث آخر في الفصل الثاني.

5-في محاجّة الكفار ومجادلتهم وإيضاح مخازيهم بالبرهان الوّاضح:

قسّم الغزالي هذا القسم إلى ثلاثة أنواع أيضاً:

أ- وفيه ذكر الله عزّ وجّل بما لا يليق به" أنّ الملائكة بناته وأنّ له ولداً وشريكا وأنه ثالث ثلاثة"[3]، تنزّه الله عن كلّ هذه الأباطيل والافتراءات في حق العزيز الكريم.

ب- ذكر الرّسول الكريم بأنّه ساحر وكاهن وكذّاب وإنكار نبوّته وأنّه بشر كسائر الخلق فلا يستحق أن يُتْبع[4].

ج- وفيه إنكار اليوم الآخر وجحد البعث والنشور والجّنة والنّار وإنكار عاقبة الطّاعة والمعصية وفي محّتجة الله تعالى إيّاهم بالحجج[5]، وفي هذا القسم يظهر المغضوبون عليهم.

6-في تعريف عمارة منازل الطّريق وكيفيه التّأهب للزّاد والاستعداد بإعداد السّلاح:

---

[1] المرجع نفسه، ص12.

* قوم تبّع : أكثر من المشركين قوّة، وأكثر غنى، وأعزّ نفرا أهلكهم الله وخرّب ديارهم لمّا عتوا عن أمر ربّهم، ينظر المرجع نفسه، ص1229.

* أصحاب الأيكة : هم أصحاب مدين، والأيكة هي الشّجر الملتّف كالغيضة، كانوا يعبدونها، ينظر أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، شارع زنوبيا، دمشق، الطبعة الرابعة، الجزء الأول، ص922.

[2] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، جواهر القرآن ودرره ، ص12.

[3] المرجع نفسه ، ص13.

[4] المرجع نفسه، ص13.

[5] المرجع نفسه، ص13.

وفيه يتحدّث على أنّ "الدّنيا منزل من منازل السّائرين إلى الله تعالى والبدّن مركب، فمن ذُهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتّم سفره(...) ولا يتّم أمر التّبتل والانقطاع إلى الله تعالى حتى يبقى بدنه سليما ونسله دائما، ويتّم كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما وأسباب الدّفع لمفسداتهما ومهلكاتهما"[1]، وفي هذا القسم يوضّح المفسّرون لآيات الذّكر الحكيم أنّ الله عزّ وجّل ذكر أسباب الحفظ للبدن والمسكن والنسل بالأكل والشّرب وبالنّكاح لبقاء النسل ضمن قوانين تحكم الأسرة المسلمة، كما ذكر قانون الاختصاص في الأموال والبيع والشّراء والدّين والورث والنفقة وتقسيم الغنائم والعتق والسّبي وفي اختصاص الإناث، فقد تبيّن بالنّكاح والطّلاق والرجعة والعّدة والخلع والصّداق والإيلاء والظّهار واللّعان وآيات محرّمات النّسب والرّضاعة، وأسباب القّتال كقتال الكّفار والدّيات والقصاص والسّرقة وقطع الطّريق والقمار والميسر والزّنا واللّواط والقذف، كلّها أسباب ذكرت لتفادي المحرّمات والعلاقات المشبوهة والمدّمرة للأسر المسلمة فجاء القرآن بكلّ ماهو صارم ومفيد لفائدة الفرد والأسرة والمجتمع حتّى لا يحيد عن الطّريق السّوي، وإنّما ينتهج نهج السّابقين حتى يجد الفلاح والصّلاح في الدّارين.

وبهذا تكون الأقسام السّتة التّي تمعّن الشيخ الغزالي في تفصيلها تبدو شاملة حاصلة لكّل ماجاء به القرآن من ذكر لذات الله وصفاته وأفعاله وكيفية عبادة الله-عزّ وجّل- والتّبتل إليه وذكر النّعيم الذّي سيلقاه العّباد المتّقون السّائرون على نهج الأوّلين والمرسلين ، وذكر أحوال المرسلين وما قاساه الأنبياء من نفور أقوامهم وكفرهم ومغالاتهم وشدّة أذيّتهم وصبرهم على الأذى واستجابة دعائهم وعقاب الأمم المكذّبة لرسل الله وما أصابهم من ريّاح صرصر عاتية ومن خسف الأرض بهم ومن نجاة عباد الله ومعجزات الله من سفينة تطفوا وبحر ينشّق ونار تكون برداً وسلاماً وإحياء الموتى وإخراج النّاقة من الحجر وإنزال المائدة من السّماء وحديث البهائم والنّجاة من بطن الحوت وارتداد البّصر والإسراء والمعراج من مكّة إلى المدينة، كلّها آيات بيّنات لنصرة الله لرسله، وذكر الأشقياء من العباد ومصيرهم والدّليل على أنّ من عاد الله

[1] المرجع نفسه، ص14.

خسر الدّنيا والآخرة، وذكر لقوانين وأحكام إنسان في الدّنيا وما عليه من واجبات وماله من حقوق لتجنّب الظلم وانتشار الرّذيلة في أوساط الأمم.

المطلب الثالث: حجّية وحجاجية النّص القرآني

يقول صولة:" لقد توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطاباً حجاجياً"[1]، وهنا يؤكّد على أنّ القرآن الكريم كان نّصاً حجاجيا توفرت فيه المعطيات الكثيرة، لأنّنا عرفنا أنّ الحجاج كآلية يتضّمنها نوع معيّن من الخطابات بهدف الإقناع واستمالة المخاطب، خاصة مع ظهور البلاغة الجديدة، وهذا ما أكّده الزركشي:" اعلم أنّ القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدّلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كلّيات المعلومات العقلية والسمعية إلاّ كتاب الله قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب"[2].

ما قاله عزّ وجّل چگ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں[3] فأخرج الله –عزّ وجلّ– مخاطبته خلقه في أحلى صورة، ليفهم العامة من ربّهم ما يقنعهم ويلزمهم الحجّة.

فالخطاب القرآني يحمل استراتيجيات إقناعية تمثّل عمود التشكيلة البلاغية، كما أنّ هذه الأخيرة تمنح تلك التقنيات ما يصلها بالواقع، ولأنّ الخطاب القرآني خطاب حجاجي، وهذا ما أكدّه صولة " أنّ القرآن خطاب، وكونه خطاباً يقتضي أنّه إقناع وتأثير"[4].

ولقد قسّم المخاطبون فيه إلى نوعين على الأقل:

1–"نوع يُذكر داخل النّص القرآني، وهو بدوره ينقسم إلى نوعين:

– نوع معيّن باسمه أو لقبه أو بضمير المخاطب، قال الله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ چ[5]، وقوله تعالى: چ ھ ھ ھ ے چ[1].

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت لبنان، 2001، الطبعة الأولى، ص40.

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1992، ص55.

[3] سورة إبراهيم،الآية: 4.

[4] عبد الله صولة، الحجاج والقرآن، ص41.

[5] سورة الكافرون، الآية:1.

– نوع مذكور لكنّه غير معيّن، فهو لا يخاطبهم بأعيانهم وإنّما الصّورة النحوية هي التي دلت عليهم، وهو ضمير المخاطب المفرد عادة"[2]

في قوله تعالى: چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ[3]، وقوله:چ □ □ □ □

□چ [4]، يقول الطاهر بن عاشور في تأويل الآية الأولى:" والخطاب في ترى للرسول –صلى الله عليه وسلم– أو كلّ من فتتأتّى منه الرؤية فلا يختص بها مخاطب"[5]، أمّا الآية الثانية " الخطاب لغير معيّن، ويجوز أن يكون للنّبي –صلى الله عليه وسلم–" [6].

2– أمّا النوع الثاني فهو واقع خارج النّص القرآني ولكنّه مع ذلك معنى بخطاب القرآن، وهو جمهور السامعين والملتقين على اختلاف عصورهم(...) الجمهور الكوني"[7].

مؤكّدا على أنّ القرآن يقدّم نفسه على أنّه " تغيير الوضع، وحلّ معضلة، و نبذ للعنف، واستجابة لسؤال الأمة(...) وعلى هذا يكون القرآن كتاب إصلاح بمعنى أنّه يرمي إلى تغيير وضع قائم، فإذا كان ذلك كذلك كان القرآن حجاجاً ولا مراءً"[8].

وهذا ما أكّده ابن عاشور في حديثه عن أغراض القرآن، وأكّد على " أنّ الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمّة بأسرها، فإصلاح كفّارها بدعوتهم إلى الإيمان(...)، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طرق النّجاة وتزكية نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدّة الدعوة"[9].

---

[1] سورة الأحزاب، الآية:28.

[2] عبد الله صولة، الحجاج والقرآن، ص41.

[3] سورة الأنعام، الآية :93.

[4] سورة الأعراف، الآية:103

[5] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، د ت، الجزء07، ص376.

[6] المرجع نفسه، ج 19، ص233.

[7] عبد الله صوله، الحجاج والقرآن، ص42.

[8] المرجع نفسه، ص43.

[9] طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء1، ص81.

ولأنّ القرآن الكريم صالح لكلّ زمان ومكان تعبّد الله البشرية بالعمل به والتحاكم إليه بعد نزوله في جميع الأزمنة والأمكنة، بحيث جاءت كلّ خطاباته موجّهة إلى كافة الأمة ، ومن أمثلة ذلك قال تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ چ[1]،يقول السيوطي: "روى البخاري وغيره عن ابن عبّاس قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزوّدون ويقولون نحن المتوكّلون، فأنزل الله چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ[2] .

وقوله تعالى چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ[3]، ، وقد نزلت في بنات سعد بن ربيع، قال السيوطي:" أخرج أحمد وأبو داوود والترمذي والحاكم عن جابر قال جاءت امرأة سعد بن ربيع إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قُتل أبوهما معك في أُحد شهيدا، وإنّ عمّهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلاّ ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث"[4]، ولا شّك أنّ القرآن الكريم بجميع دلائله وآياته التّي توجّه بها نحو الإنسان وغيره بقصد البيان هو مندرج ضمن هذه الآية العظيمة حجّة الله البالغة، فالعجز عن الإثبات والظن والكذب والجدال والمخاصمة كلّها مزاعم يردّها خطاب الله الأعلى.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 197.

[2] جلال الدين السيّوطي، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: ياسر صلاح عزم، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، د ط، ص41.

[3] سورة النساء، الآية:11.

[4] المرجع السابق، ص84.

المبحث الثاني: الفكر الحجاجي عند العرب والغرب

يعتبر الحجاج آلية تداولية حديثة، لكن هناك جذورٌ ضاربة منذ القدم، فهو يمثّل مجالاً من النّشاط اللغوي الذّي شدّ إليه الأنظار على مرّ الأيّام منذ بلاغة القدامى الذّين جعلوا منه "فنّ الإقناع"[1] حتى يومنا هذا، حيث أصبح من جديد أسلوب العصر.

المطلب الأول: مفهوم الحجاج

1-المعنى اللّغوي:

نجد الحجاج والمحاجة مصدر للفعل **حاجّ**، بحيث جاء في لسان العرب لابن منظور:" حاججته، أحاجّه، حجّاجاً ومحاجّة؛ أي غلبته بالحجج التّي أدليت بها(...) وحاجّه ، محاجة وحجاجاً، أي نازعه بالحجّة، والحجّة هي الدّليل والبرهان"[2]، وقال الأزهري "الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل مِحجاج أي جدل. والحُجّة يحجُّه حجّاً غلبه على حُجَّتِه. وفي الحديث: فحجَّ آدم موسى أي غلبه بالحُجَّة"[3]، فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدّلة والبراهين والحجج، فيكون مرادفا للجدل، ومن هذا المفهوم تطّرق عبد

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، الطبعة الأولى، ص445.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، مادة "حجج" .

[3] المرجع نفسه، مادة "حجج".

الله صوله إلى أنّ هذا يؤدي إلى القول بأنّ الحجاج يكون مرادفا للجدل، بحيث يقول:" إذ حدّ الجدل حسب ابن منظور مقابلة الحجّة بالحجّة"[1]. على أنّ ابن منظور يجعل الحجاج مرادفا للجدل صراحة بقوله:" هو رجلٌ محجاجٌ أي جدِل"[2].وعليه خرج الدكتور عبد الله صولة إلى نتيجة مفادها أنّ الذّي يجمع بين معنيي اللّفظين هو المخاصمة، لكنّها تقوم في الأول "على البّاطل في حين أنّ الجدل هناك ماهو حق ومنه ماهو باطل"[3]، معتمدا في ذلك على ما جاء في تفسير طاهر بن عاشور فقد قال في شأن "**حاجّ**" وما اشتّق منه عند تفسير قوله تعالى:چ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ چچ"[4]، معنى حاجّ خاصم، وهو فعل جاء على زِنَةِ المفاعلة(...) وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بالباطل"[5].

وقال في شأن "**الجدل**" عند تفسير قوله تعالى:چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ چبحيث قال:" والمجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"[6].

يمثّل هذا الجدول أهم المصطلحات الدّالة على الحجاج من لسان العرب، مأخوذ من مذكرة هشام الفروت، تجلّيات الحجاج في الخطاب النّبوي، دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النّووية –أنموذجا–، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربية، الشعبة العربية، تخصص لسانيات العربية، 2008–2009، ص 46.

المفهوم	ورد تحت مادة	قول ابن منظور

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 10.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة" حجج".

[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص11.

[4] سورة البقرة، الآية :258.

[5] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، جز3، ص31–32.

[6] المرجع نفسه، ص194.

المحاججة	ح ج ج	الحجّة: البرهان، والحجّة: الوجه الذّي يكون به الظّفر عند الخصومة، وهو رجل محاجٌ أي جدل.
المجادلة	ج د ل	الجدل: اللّدد في الخصومة، المجادلة والمناظرة والمخاصمة، ويورد حديثٌ للرسول–صلى الله عليه وسلم:" ما أوتي الجدل قوم إلاّ ضلّوا".
المماحكة	م ح ك	المحّك: المشارة والمنتزعة في الكلام.
المنازعة	ن ز ع	المنازعة في الخصومة، مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان

2–المعنى الاصطلاحي:

يعتبر مفهوم الحّجاج من المفاهيم المّثيرة بالنسبة للباحث عند ضبطه وتدقيقه فتحديد مفهومه يختلف ويتنّوع، فهو عامة "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجّسد عبرها إستراتيجية الإقناع"[1].

وقد عرّفه بيرلمان وتيتكا:" موضوع نظريات الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التّصديق"[2]

وقد عرّفه طه عبد الرحمان بأنّه:" كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحّق له الاعتراض عليها"[3]. وممّا يبدو أنّ قائمة تعريف الحجاج طويلة خاصّة لاختلاف الآراء

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 456.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص31.

[3] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص226.

فيه وتّشابك طرّقه، فتراها تارة تدنو منه وتارة أخرى تنأى عنه قليلا، ويمكننا حصر تلك المفاهيم باعتبار"علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب "[1].

فهو إستراتيجية لغوية محضة ومن الملاحظ أنّ التعريفات كلّها توّلي الإقناع أهمية، بحيث يمكن اعتباره لبّ العملية الحجاجية، وهذا الحدّ "هو ما يمنحه صلاحيته لاستعماله آلية في السّياقات المتنوعة مثل الدّعوة إلى الله، وطلب الحقوق، والإقلاع عن المخدّرات والعادات السّيئة وما إلى ذلك"[2]. إذن الحجاج هو " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيّنة، وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحّجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغّوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[3].

أمّا في اللغة الفرنسية نجد لفظة" Argumentation" تشير إلى عدّة معانٍ متقاربة، أبرزها حسب قاموس "روبير" مايلي: "

- القيام باستعمال الحجج.
- مجموعة من الحجج التّي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فن استعمال الحجج أو الإعتراض بها في مناقشة معيّنة"[4].

وفي القاموس ذاته نجد" **argumentation**"تشير إلى "الدّفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج"[5].

---

[1]شكري مبخوت(نظرية الحجاج في اللغة): ضمن كتاب: أهّم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف: حمادي صمود، مطبوعات جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، سلسلة آداب، مجلدxxx1x، د/ت، ص360.

[2]عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص457.

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،2006م، ص73.

[4] هشام الفروت، تجلّيات الحجاج في الخطاب النّبوي، ص48.

[5] المرجع نفسه، ص49.

أمّا في اللغة الإنجليزية الحديثة، فإنّ " لفظة" **argument**" يشير استخدامها إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كلّ منها إقناع الآخر بوجهة نظره، وذلك بتقديم الأسباب والعلل **Reasons** التي تكون حجّة**Argument** مدّعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما"[1].

ومن هنا نستنتج أنّ المقاربة التي قمنا باعتمادها من أجل الحصول على المعنى الاصطلاحي تؤكدّ أنّه مفهوم يصعب حصره وتحديده داخل المرجعيات النّظرية، لذلك حتّى نستطيع توضيحه كان لابّد من الاستقصاء والانتقاء حتّى تكون المقاربة مركّزة على الحجاج من حيث وظيفة خطابية.

3-الحجاج في القرآن الكريم:

أولى العرب عناية بالغة بالحّجاج، وكان واضحا "في القرآن الكريم وفي أقوال الرّسول-صلى الله عليه وسّلم-، وظهر أيضا في المنجزات الخّطابية والمنافرات القبلية في العصر الجّاهلي، وكان له الأثر البالغ في شّتى العلوم، مثل علوم الفقه وأصوله، وعلم الكّلام والعلوم اللّغوية"[2].

لقد ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانٍ متعدّدة، فجاء بمعنى: الجدل، وبمعنى البرهان، وبمعنى الخصام.

[1] المرجع نفسه، ص49.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ص 447.

كلّ هذا سيوضّح في الجدول الآتي:

الآية التّي وردت فيها كلمة الحجاج أو أحد معانيها	المعنى	التفسير
قال الله تعالى:چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ چ.[1]	الحجاج، الخصام	معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة(...) لايستعمل غالبا إلاّ في معنى المخاصمة، وأنّ الأغلب أن يفيد الخصام بالبّاطل[2]
قال الله تعالى: چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺچ[3]	الحجاج، الجدل	والمجادلة؛مفاعلة من الجدل وهي القدرة على الخصّام والحجّة فيه،

[1] سورة البقرة، الآية:258.

[2] طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص11.

[3] سورة النساء، الآية: 107.

		وهي المنازعة بالقول لإقناع الغير برأيك[1]
قال الله تعالىچ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □چ[2]	الحجاج ، البرهان	هاتوا برهانكم أي هلّموا حجّتكم على اختصاصكم بدخول الجّنة إن كنتم صادقين في دعواكم، فالبرهان دليل قاطع لاشكّ فيه[3]

وما يمكن استخلاصه من الجدول أنّ الطاهر بن عاشور جعل الحجاج مرادفا للجدل، فطبيعة الجدل هي" الخصومة والمنازعة في بيان والكلام" [4]، وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وبعبارة أخرى الجدل هو" كفعل رد للخصم عن رأيه إلى غيره بالحّجة، والجدل كعلم آلة يتوصّل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدّليل أو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصّواب على وجه يدفع عن نفس النّاظر والمناظر(المعلل والسائل) الشّك والإرتياب"[5]، فلقد جعل معنى **حاج** بمعنى المخاصمة، وتكون هذه المخاصمة بالباطل وليس الحق.

وأما **حاج** في المعنى الثاني فقد جعله بمعنى البرهان، وقد فسّرها الزمخشري في الكشّاف بقوله:" قل هاتوا برهانكم متّصل بقولهم لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هودا أو نصارى، فقل هاتوا برهانكم هلّموا حجّتكم على اختصاصكم بدخول الجّنة إن كنتم صادقين في دعواكم، وهذا أهدم شيء

[1] المرجع السابق، ص 11

[2] سورة البقرة، الآية:111.

[3] أبو قاسم جار الله الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تحقيق : الشريف علي بن محمد بن علي السيد وأحمد بن محمد الاسكندري، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان،د ط، 2006، الجزء الأول، 305.

[4] صولة عبد الله، الحجاج في القرآن، ص 12.

[5] حمو النقاري، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأولي، دار الأمان، الرباط، المغرب،ط1، 2005، ص366.

لمذهب المقلّدين، وأنّ كل قول لا دليل عليه فهو باطل"[1]، فالبرهان أن تأتي بدليل قاطع لتثبت صحّة دعواك أي لا يكون فيه أيّ شّك واحتمال.

المطلب الثاني: الحجاج عند القدامى والمحدثين

1-الحجاج عند القدامى العرب والمحدثين:

1-1-عند قدامى العرب:

الحديث عن الحجاج لم يأت من فراغ وإنّما كانت له جذور ممتّدة من القدم، بحيث يتجّلى الحجاج في الثّقافة العربية الإسلامية في علم الكلام والفلسفة وعلم الأصول والنحو والمناظرة والمنطق والخطابة، فبدأت مع الكتب السّماوية حيث كان أغلب الرسل والأنبياء يجادلون أقوامهم بالتّي هي أحسن، كما فعل سيّدنا نوح وسيّدنا عيسى وسيّدنا موسى وسيّدنا صالح وسيّدنا ابراهيم وسيّدنا محمد- صلوات الله عليهم جميعا- مع أقوامهم، "واستعملها الخلفاء والقادة والأعلام، لمواصلة فتح البلدان والمنافحة عن الدين إلى الخطب والرسائل التي تستلزم توجيه الناس نحو المراد"[2].

ولقد قام القدماء بدراسته نظّريا؛ وذلك من وجهتين "**الأولى:** التنظير لإستراتيجية الإقناع ذاتها، **الثانية:** وضع الضوابط للسياقات التي فيها هذه الإستراتيجية"[3].

ويمثل الجاحظ الوجهة الأولى، بحيث من المعروف اعتناق الجاحظ لمذهب المعتزلة الذّين يعتمدون في أبحاثهم على البرهان العقلي والحجّة والمنطق وهدفهم هو الدّقة والثبوت والصّحة، ونجد هذا في كتابه"**البيان والتبيين**"، ففيه تناول عدّة فصول، ففي الفصل الذّي تناول فيه البلاغة حاول إيضاح هذا المفهوم بالاستشهاد بصحيفة تنتمي إلى الثّقافة الهندية، إذ يقول: " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل

[1] أبو القاسم جار الله الزّمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، ص305.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص447.

[3] المرجع نفسه، ص448.

اللحظ متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيّد الأمّة ولا الملوك بكلام السّوقة، ويكون في قواه فضل التّصرف في كلّ طبقة..."[1].

ففي هذا النّص يتّضح لنا أنّ غاية الجاحظ هي الخطاب الإقناعي الشّفوي وهي إقناع تقدّم فيه الغاية على الوسيلة أي الإقناع على اللغة، بحيث تحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال، كما يستشهد أيضًا بخطابات من أقوال العرب، سواء في النثر أو الشعر إذ يتعامل مع كلّ جنس منهما بوصفه خطاباً في هذا المضمار، بغض النّظر عن التصنيف التقليدي أو الفوارق الدقيقة بينها، إذ فصل القول فيما يخّص الخطيب من صفات جسدية وملكات ذهنية، ولم يتوقّف عند تعداد مميّزات الخطيب الايجابية من حلاوة القول والحذق فيه، بل تجاوز ذلك إلى بحث في الخصائص السلبية التي تضاعف القول مثل العيوب النطقية. وأكّد هذا في حديثه عن العلامات من" خط وإشارة وحال وعقدٍ ونصب كما أنّه لم يغفل أهمية المكان بوصفه علاقة خطابية ذات سلطة"[2]. كما نجده في بعض مناظراته قد ردّ على الزنادقة وهاجمهم لأنّهم رفضوا البيان فهو يرى أنّ كتبهم تقوم على مذهب الديانة* وتعظيم المّلة"[3].

وأمّا عبد القاهر الجرجاني– رحمه الله– فيعتبر رأيه وطرحه مبايناً لرأي الجاحظ لأنّ الأخير كان أشعري العقيدة، وهم الذّين يعتقدون بأنّ القرآن الكريم ينقسم إلى مدلول قديم، وأنّه صفة أزلية قديمة من صفات الله تعالى، فالجرجاني يجعل كلّ ماهو خارج عن مجال النفس وحديثها ممّا هو مسموع أو مكتوب صورة عاكسة له لما هو قائم في النفس وماثل فيها يعبّر بالأصوات تارة

---

[1] المرجع نفسه، ص 448.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص448.

* مذهب الديانة: هو مذهب اتّبعه أهل الزنادقة وهاجمهم الجاحظ لأجل ذلك، فقد قال أنّ كتبهم لاتقوم على البيان والتبيين، ينظر كتاب الجاحظ، الحيوان، ج1، ص56، نقلا عن محمد الصغير البناني، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1983، ص182.

[3] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص56، نقلاً عن: محمد الصغير البناني، النّظرية اللسانية والبلاغية والأدبية ، ص182.

وبغيرها تارة أخرى، وقد سعى الجرجاني إلى نقض نظرية اعتزالية وعكف على تصحيح بعض المفاهيم المتعلّقة بالفصاحة والنّظم، كلّ هذا كان واضحا في كتابه **دلائل الإعجاز** بحيث كان كتابا شديد اللهجة وكثير الحجاج، وبهذا تكون " نظرية النّظم كفيلة بإثبات الإعجاز القرآني، لأنّ مدار أمر النّظم على معاني النّحو، وعلى الوجوه والفروق التّي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق والوجوه الكثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياد بعدها"[1].

وبهذا يكون عبد القاهر الجرجاني قد نقل موضوع النّظم بالمفهوم الاعتزالي القائم على ترتيب الألفاظ وحسن انتقائها وجودة سبكها إلى ساحة المعاني النفسية والمعاني النحوية التي تحدث بسببها المزية ويزداد الفضل ويتكاثر[2]، إذ يمكن القول بأنّ فكرة الحجاج في دلائل الإعجاز قائمة على منطق طبيعي بلاغي يسعى إلى الكشف عن الآليات التّي يتّم عبرها بناء الخطاب ويتحدّد في كونه حجاباً تغذيه النزعة المذهبية وتؤطّره النّظرية اللغوية"[3].

أمّا أبو الهلال العسكري فقد ربط الحجاج بالشعر بحيث يقول:" وهو الذّي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبّية المستعصية ويبلغ به إلحاحه وتقام به الحجّة"[4]، وكأنّ لسان حاله يقول أنّ الشعر هو الفّن الأساسي الذّي تقام به الحجج.

---

[1] ينظر: عبد القادر حمراني، الحجاج في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، ص219-220.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلال الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1981م، ص69.

[3] ينظر: عبد القادر حمراني، الحجاج في دلائل الإعجاز، ص234.

[4] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص49.

أمّا ابن وهب الكاتب فقد ربطه بالجدل والمجادلة، بحيث قّم تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة بقوله:" وأمّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجّة فيما اختلف فيه المتجادلون، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات والتنّصل في الإعتذارات"[1].

إذن الحجاج عند ابن وهب هو الجدل، وقد ميّز بين الجدل المحمود وهو الحّق، يستعمل فيه الصّدق، أماّ الجدل المذموم وهو الباطل ويستعمل فيه الكذب والنّفاق والرياء.

أمّا ابن حزم الأندلسي فنجده يُلقّبُ بالمفكر الحجاجي بدليل أنّه كان لا يهدأ من السّجال والحجاج والجدال بالمناظرات لدرجة أنّه كان يُناظر كلّ شخص يقابله، لأنّ المناظرة والحجاج هو الحّد الفاصل بين الصّدق والكذب، فقد اشتهر بالجدال العنيف، فلم يكن مناظراً من أجل المناظرة، بل كان مساهماً في بناء الحقيقة، فقد يتميّز بنزعة نقدية عقلانية تتمسّك بالنّص"[2].

واعتمد في مناظراته على الأدلة العقلية بقوّة، وهي القرآن والسنّة وإجماع الصّحابة، حيث قال:" أنّ الله إنّما كلفنا إتّباع القرآن وبيان الرسول الكريم الذّي نقله إلينا أولوا الأمر منا، على ما بيّنا فقط، ولأنّ أحكام الدّين كلّها من القرآن والسنّن لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما، إمّا وحي مثبت في المصحف وهو القرآن، وإمّا وحي غير مثبت في المصحف وهو بيان رسول الله–صلى الله عليه وسلّم–"[3].

1-2-الحجاج عند المحدثين العرب:

كان لزاما اشتغال علمائنا المحدثين بالحجاج، لأنه تراث تأصّل منذ القدم في تاريخ علومهم نذكر منهم عبد الله صولة صاحب كتاب **الحجاج في القرآن**، والذّي يُعدُ مرجعا موثوقاً يتطلّع

---

[1] أبو الحسين إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيّان، تقديم وتحقيق جفني محمد شرف،مطبعة الرسالة، عابدين مصر، د ط، د ت، ص176.

[2] ينظر: حمو النّقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلّية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 2006، الطبعة الأولى، عن محمد آيت حمو: ابن حزم فارس، الحجاج في الأندلس، ص127.

[3] عبد المجيد التركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن الحزم والباجي، تحقيق : د عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص166.

إليه الدّارسون للنّظر في أصول الحجاج والكشف عن خصائصه وتقنياته نتيجة لاستفادته من مفاهيم الحجاج عند القدماء، وربطه بالجدل في القرآن، وقد مثّل لذلك في كتابه، وكيف أنّه يكون تارة حجاجا خطابيا وأخرى جدلياً، لينتهي إلى اعتبار الحجاج مبحثا لغوياً فصّل فيه الغرب من خلال آراء انسكومبر وديكرو، وتطرّق أيضا إلى جهود بيرلمان وتيتكا في كتابهما **مصنّف في الحجاج**[1]، فعبد الله صولة عرف بحذاقته الشّديدة في التّعامل مع المصطلحات بمدلولاتها، إذ نجده يحلل وينقد ويربط المفهوم مبيّنا وجه التعارض إن وُجِد، ويُعلِقُ ويُعقّبُ ويشرح كلّ ما استعصى ممّا أورده في كتابه.

ويحّق القول فيه أنّه رسم استراتيجية متكاملة لدراسة هي الأفضل والأوسع بشهادة الكثير ممّن تعرّضوا بالتثمين والتّقييم وإن قلنا شهادة حقّ فهي أنّ عبد الله صولة قد وضع لنا خطّ سيرٍ وأرضية متينة لدراسة الحجاج.

أمّا أبو بكر العزّاوي فقد دخل المضمار الحجاجي بمقالات عديدة منها ما جاء بعنوان" نحو مقاربة حجاجية للاستعارة"[2]، " إذ طُبّق فيه مفهوم السّلم الحجاجي على الاستعارة في هذا المقال، مستنتجا أنّ الاستعارة تفصل الحقيقة من ناحية قوّتها الحجاجية"[3]، كما عالج أيضا الجانب الشعري وقسّمه إلى نوعين: شعر حجاجي وشعر غير حجاجي" مستمّدا الدّعم فيما يذهب إليه من حازم القرطاجني الذّي يرى أنّ الشعر قد يستعمل للاقناع"[4].

أمّا المفكر المغربي طه عبد الرحمان فتحدّث بإطناب عن الحجاج وعن الضرورة الملّحة للاستفادة ممّا تركه أسلافنا من تراث قيّم، إضافة إلى إقامة حوارٍ دعامته التّتبع بمعرفة التّراث ومعالجته وفق آليات حديثة، فمثلا في كتابه **أصول الحوار وتجديد علم الكلام** قد قرن حديثه عن الحجاج بالحوارية حيث قال:" إذا جاز أنّ المحاورة تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال

---

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص452.

[2] أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب،السنة الثانية، العدد4، شوال1991، ص78-84.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص452.

[4] المرجع نفسه، ص452.

التداولي جاز معه أن تسلك من سبل الاستدلال ماهو أوسع وأغنى من بنيات البرهان الضّيقة"[1]، وهنا جعل الحوار منهجا من مناهج الحجاج على اعتبار أنّه يعتمد على الاستدلال، والحجاج نوع من أنواع الاستدلال، أو هو كما وَصْفٌ كما أشار إليه. كما تحدّث في كتابه الآخر **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي** " إذا تقرّر أنّ كلّ منطوق به يتوّقف وصفه بالخطاب على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثّل في تحصيل الناطق لقصد الإدّعاء وتحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض، بالإضافة إلى تحصيل الأول لقصد التّوجه إلى الثاني وقصد إفهامه معنى ما"[2],

بحيث قرن هنا بين الحجاج والخطاب، إضافة إلى أنّه أقام علاقة بينهما، كما فصّل في كتابه هذا عن الحجاج ومراتبه وأنواع الحجج ومقاييسه وكلّ ما اتّصل به، وقد أعطى تعريفاً صريحاً بحيث قال:" أنّه كلّ منطوق موّجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحّق له الاعتراض عليها"[3]، وبهذا يعدّ كتابه مقدّما ومفصّلا ومسهبا في الشّرح لكلّ طالب معرفة.

2- الفكر الحجاجي عند الغرب

2-1-عند قدامى الغرب:

بعد أن تطّرقنا إلى جهود القدامى العرب، كان لزاما من أن نعرج على الفكر الغربي الذّي لايخلو هو الآخر من الفكر الحجاجي، ليكون هو الآخر له جذور ممتدّة منذ القدم،إنّ عناية الفلاسفة بالخطاب تمتدّ جذورها إلى الفلسفة اليونانية، التي وجدوا فيها حقلاً خصبا للنماء والتطوّر، ويمكن رصد مراحل هذا الاهتمام ابتداءً من: **السفسطائيين، أفلاطونإلى أرسطو**، وإن كانت اهتمامات هذا الأخير هي أهّم تلك الأعمال وأشدّها تأثيرا.

وهو ما عرف بالحجاج البلاغي بحيث "صادفت بدايتها نهاية مرحلة فقدان الآلهة الإغريقية مشروعيّتها في تفسير الظّواهر الطّبيعية في تفسير البطل الحامي، وصارت الحاجة إلى العقل

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2000، ص31.

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص226.

[3] المرجع نفسه، ص226.

محدثا بذلك ثورة، فحاول أفلاطون إقصاءها لأنّها تنافي الحقيقة الفلسفية، ولأنّه يُتَوَصَلُ إليها بالاستدلال العقلي وليس بالكلام البليغ، لذلك صنفت ضمن الخطابات المضّللة للعقول"[1].

أمّا أرسطو فهو عنده " احتمالية وتعدّدية تبني عملية الإقناع على عقلنة الخطاب دون إلغاء مبدأ إحداث التأثير بواسطة الأهواء، لذلك شملت مجمل أنماط الخطابات البرهانية والاستشارية والقانونية (...) وأعطت الأولوية للغة أو اللوغس"[2]

2-2-عند المحدثين:

على الرّغم من أنّ الدرس الحجاجي له جذور قديمة ، تمتدّ إلى الثقافة اليونانية كما رأينا، وأنّ **أرسطو** هو الذي أرسى معالم الدرس الحجاجي، إلاّ أنّ الحجاج يُعتبر نظرية غربية حديثة، تناولوه من خلال جانبين: جانب بلاغي مع **برلمان** وتجلى ذلك في أعماله، وجانب تداولي ترأسه **ديكرو**، وتجلى ذلك أيضا في أبحاثه.

كلّ هذا لا يعني القطيعة بين الدرس الحجاجي الحديث والقديم بل على العكس تماماً، فإنّ الدرس الحجاجي الحديث قد استفادة من التراث القديم، فحاول بعثه من جديد في ثوب جديد ألا وهو النظرية الحجاجية.

[1] ينظر: أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2011، ص4.

[2] المرجع نفسه، ص5.

يعدّ كتاب "**مصنّف في الحجاج**""**traite de l'argumentation**" لمؤلفيه **شايمبرلمان**(**chaim perelman**)، و**تيتيكاه**(**lucie olberchs tyteca**)، الذي ظهر سنة 1958م، فتحاً جديدا وأساسياً في عالم الخطابة الجديدة، حيث قدّما تعريفا جديدا للحجاج " موضوع درس الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[1].

أمّا غاية الحجاج عندهما فلقد حدّداها بقولهما:" تهدف نظرية الحجاج لإلى دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان وإدماجها في الأطروحة المقدّمة وتفحص أيضا شروط انطلاق الحجاج أو نموّه وما ينتج عنه من آثار"[2].

كما أنّنا نجد أنّ **برلمان وتيتيكاه** يقسّمان الحجاج إلى قسمين، وذلك" بحسب جمهور المتلقين: الأوّل هو الحجاج الإقناعي**l'argumentation persuasive** ، والثاني هو الحجاج الإقتناعي **l'argumentation convaincante**، الأوّل هدفه إقناع الجمهور الخاص، ولا يتحقق الإقناع **pérsuasion** إلاّ بمخاطبة الخيال والعاطفة،وهو ما يضيّق من هامش فرصة العقل وحريّة الخيال، في حين أنّ الاقتناع **conviction**الذي هو هدف هدف الحجاج يقوم على الحرية والعقلنة"[3].

ولعلّ من أهم النتائج التي توّصل إليها بيرلمان وتيتكا:

- تلخيص الحجاج من سيطرة المنطق والأبنية الاستدلالية المجرّدة.
- اعتبار الحجاج حواراً غير مرتبط بالجدل.
- اعتبار الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.

---

[1] عبد الله صولة،الحجاج في القرآن، ص27.

[2] محمّد طروس، النّظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثّقافة، المغرب، ط1، 2005، ص15.

[3] محمد سالم محمد الأمين طلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار كتاب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، ص108-109.

أمّا عند ديكرو فإنّه أسس لنظرية أساسية تهتم بالوسائل اللغوية التّي يستخدمها المتكلّم بصدد توجيه خطابه لوجهة ما، بحيث إنّها انطلق من الفكرة الشائعة التّي تقول: " إنّنا نتكلّم بقصد التأثير"[1]، فأن تتكلم يعني أنّك تحاجج، (كلّ قول= حجاج)، فهذه النّظرية تبيّن أنّ اللغة بصفة ذاتية جوهرية وظيفة حجاجية، وتبعا لهذا "الملفوظ يلمح إلى التّلفظ"[2].

وقد بيّن ديكرو أنّ المتكّلم قد يصرح بالنّتيجة وقد يخفيها " فيكون على المتلّقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية، بل اعتمادًا على بنيتها اللغوية فحسب"[3]

ومن المهم الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية **ديكرو**الحجاجية وهو "التوجيه **L'orientation**، إذ يرى أنّ غاية الخطاب الحجاجي تتمثّل في أن تفرض على المخاطب نمطا من النتائج، باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب السير فيه"[4].

إذن نجد أنّ ما تدرسه نظرية الحجاج في اللغة هو "اشتغال الأقوال داخل خطاب ما، أي هو تسلسل الأقوال وتواليها داخل خطاب ما، أي هو تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجيه، وبعبارة أخرى إنّها تدرس منطق الخطاب"[5].

ومن هنا نستنتج أنّ ديكرو لا يهدف إلى إخبار المتلّقي ولا يقصد تقديم المعلومات بل يسعى للتأثير في المتلقي ودفعه لاتّخاذ موقف ما من قضيّة ما.

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص14.

[2] Ducrot. Le dire et le dit. ، نقلا عن الراضي رشيد ، الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 34، سبتمبر 2005، ص243

[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2008، ص24.

[4] بوزناشة نور الدين،الحجاج في الدرس اللغوي،مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد44، شتاء 2010.

[5] أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعني الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م. ص73.

كما طرح ديكرو وانسكومبر في كتابهما على التّداوليات المدمجة التّي تقوم على تصّور خطّي لعلاقة التركيب والدّلالة والتّداول، كما اهتم بالسّلم الحجاجي وأكّد على أنّ الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القّوة.

المبحث الثالث: تقنيات الحجاج

قسّم بيرلمان وتتيكا تقنيات الحجاج إلى قسمين وهي:

1-طرائق الوصل أو الإتّصال(procédés de liaison):

نقصد بها "الطّرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءًا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التّضامن بينها لغاية هيكلتها أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة، أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويمه ايجابيا أو سلبيا"[1].

[1] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص41.

وتشمل كلّ الحجج التّي اهتمت بالبلاغة القديمة(**أرسطو**) وهي:

1-1-الحجج شبه المنطقية:

بحيث تستمد الحّجج شبه المنطقية قوّتها الإقناعية من مشابهتها للطّرائق الشّكلية والمنطقية والرّياضية في البرهنة، وهي البّنى المنطقية مثل التناقض والتّماثل التام أو الجزئي، وعلاقة الجزء بالكّل وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التّواتر وغيرها"[1].

وبدورها قسّمت الحجج شبه المنطقية إلى نوعين:

الحجج شبه منطقية[2]

الحجج شبه المنطقية	الحجج شبه المنطقية
(التّي تعتمد على بنى منطقية)	(التّي تعتمد علاقات رياضيّة)

1-2-الحجاج المؤسس على بنية الواقع:

أمّا الحجج المؤسسة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للرّبط بين أحكام مسّلم بها في الواقع مسبّقا، وأحكام يسعى الخطيب/ الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسّلما به"[3].

وتنقسم هي بدورها إلى قسمين:

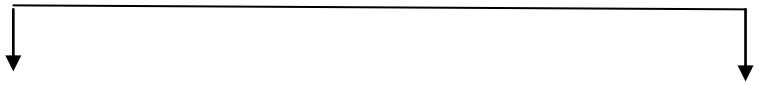
الحجاج المؤسس على بنية الواقع[4]

[1] المرجع نفسه، ص42

[2] مخطط توضيحي من دروس ومحاضرات الأستاذ بخوش كمال، ص33.

[3] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ، ص49.

[4] مخطط توضيحي من دروس ومحاضرات الأستاذ بخوش كمال، ص38.



اتّصال تتّابعي **اتّصال تواجدي**

بحيث إنّ جلّ الحجج المؤسسة على الواقع" إمّا أنّها تستدعي روابط تتابعية مثل علاقة السّبب بالنتيجة، أو روابط تواجدية مثل علاقة الشّخص بأعماله"[1].

1-3-الحجاج المؤسس لبنية الواقع:

أمّا الحجاج المؤسس لبنية الواقع فإنّه يتمثّل " في بناء واقع جديد، بواسطة الحالات الخّاصة المَثَل(Exemple)، فهي تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخّاصة"[2].

ومن الحالات الخّاصة أيضا الاستشهاد وهو يقوي درجة التّصديق بقاعدة معلومة، وذلك بتقديم حالات خاصة توّضح القول ذا الطّابع العام، وتقوّي حضور هذا القول في الذّهن، وعلى هذا فإنّ الاستشهاد يُؤتي به للبرهنة ولتأسيس القاعدة"[3].

" ومن الحالات أيضا النموذج وعكس النّموذج ومداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السّلوك ، لا لتأسس قاعدة عامة أو دعمها فحسب، وإنّما يصلح كذلك للحّض على عمل ما اقتداءً به ومحاكاة له ونسجاً على منواله، وإن بطريقة غير موّفقة تمام التوفيق"[4].

2- الطّرائق الانفصالية في الحّجاج:(Procédés de dissociation)

إنّ الانفصال بين العناصر في الحجاج له غاية تتوّضح في توزيع العناصر التّي تعدّ مجموعة صغيرة أو كبيرة، حيث قال عبد الله صولة أنّ الفصل في الحجاج " يقاضي وجود وحدة بينها ومفهوم واحد لها فهي عناصر عائدة إلى اسم واحد يعينها وإنّما وقع الفصل بينها لأسباب دعا

[1] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ، ص49-51.

[2] المرجع نفسه، ص54.

[3] المرجع نفسه، ص55.

[4] المرجع نفسه، ص55.

إليها الحجاج، والحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، فكيف يتّم الفصل بين الحدّين داخل المعطى الواحد؟"[1].

إنّ الحالة الدّقيقة التّي تمثل هذا البعد الحجاجي للثنائيات

ظاهري/ حقيقي

ظاهريا/ حقيقيا

اللا كذا / اللا علمي

غير كذا/ غير صحيح

بعض الجمل الاعتراضية، كقولنا: إنّ هذا البطل –إن صّح أنه بطل–.

بعض الأفعال: يزعم، يتوّهم.

وضع بعض الأقوال بين قوسين أو مزدوجتين مثل: لقد كنت يومها بطلا...[2]

وأكثر ما يكون الفصل داخل المفهوم الواحد في الحدود والتعريفات، فالتعريف كما يقول المؤلفان **بيرلمان وتتيكا** "وسيلة حجاج شبه منطقي، وهو أيضا وسيلة لإحداث الفصل داخل المفاهيم خصوصا إذا جاءت هذه التّعريفات تزعم تقديم معنى للمفهوم الحّقيقي في مقابل معناه الظّاهري الجاري به العرف والعادة.

وقد يكون الاعتراض على المعنى الظّاهر مفهوما فحسب، كأن يقال: الأرض كوكب يدور حول نفسه، أو يكون مصّرحا به فيقال: الأرض هي التّي تدور وليس الشمس[3].

[1] عبد الله صولة، في نظريات الحجاج ، ص61.

[2] المرجع نفسه، ص63.

[3] المرجع نفسه ، ص 63–64


الفصل الثاني

الفصل الثاني: حجاجية النّص القرآني والتسلية في القرآن الكريم

المبحث الأول:مفهوم القصص القرآني و أغراضه.

المبحث الثاني: مفهوم التسلية و أدّلتها في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أثر التسلية في القصص عند المتلّقي.

تمهيد:

يعتبر القصص القرآني علما من علوم القرآن، ووجه من وجوه الإعجاز، فهو لا يراد به سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص، وإنّما هو عبرة للناس لأنّه ينقلنا بأنفسنا ووجداننا إلى الزمن الغابر، لنعيش فيه اللحظات ونأخذ العبر لروعة المشاهد التي جاءت في القرآن، بحيث اعتبرها السيّد قطب إحدى وسائل إبلاغ الدعوة وتثبيتها في النفس البشرية، وبهذا فإنّه جاء لتحقيق أغراض دينية منها إثبات وحدانية الله وتوحيد الأديان ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشّر، ولعلّ أهمها تثبيت فؤاد النّبي –صلى الله عليه وسلم– وتسليه ونزع الحزن والخوف من قلبه.

المبحث الأول: مفهوم القصص القرآني وأغراضه

المطلب الأوّل: مفهوم القرآن الكريم

بداية لابدّ من الضّبط اللّغوي لمادة **(ق،ص،ص)** ، ففي لسان العرب" **القصصُ** أي الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتّى صار أغلب عليه، و**القِصص** بكسر القاف: تعني جمع القصة التي تكتب(...) وتقصص الكلام أو الخبر، إذّا تتبعه، والقّصة: الأمر والحديث(...)، و**قصّ** آثارهم يقُصّها قصّاً وقصّصا وتقَصَّصَها أي تتبّعها باللّيل، وقيل هو تتّبع الأثر، أي وقت كان، قال الله تعالى:" فارتّدا على آثارهما قصصا""[1]. وهو بهذا لا يبتعد كثيرا عن التّتبع والتّقصي، وجاء في تاج العروس:" **قصّ** عليه الخبر قصصًا، أي أعلمه به وأخبره ومنه **قصّى** الرؤيا (...) **قصّ** أثره: أي تتبّعه، وكذلك اقتّص أثره(...)، وقوله تعالى: " نحن نقصّ عليك أحسن القصص" أي نبيّن لك أحسن البّيان"[2].

أمّا المفهوم الاصطلاحي فلقد تناوله البّاحثون والمفسّرون والنّقاد المهتمّين بشأن القّصة القرآنية لما جمعته من روعة الحقيقة وأسلوب الواقع والإعجاز، فجعلها فريدة في نوعها، منها ما ذكره الرّازي بأنه "مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدّين ويرشد إلى الحّق ويأمر بطلب النّجاة"[3]، ويقول الشّحرور: " أمّا إذا نظرنا إلى القّصص القرآني كما أرادنا القرآن أن ننظر إليه في قوله تعالى: "لقد كان لكم في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذّي بين يديه وتفصيل كلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" فمن هذه الآية نستنتج أنّ

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص120.

[2] الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة 1، مادة(ق ص ص)، ج3، ص433.

[3] عبد الله بن عمر بن الحسين التّيمي الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء8، دار إحياء التّراث العربي، بيروت ، الطبعة الثالثة، 1420هـ، ص83-84.

الله سبحانه وتعالى اختار أحداثا تشكّل مفاتيح لتطوّر التّاريخ الإنساني ابتداء من آدم، يبّين فيه سيرورة وصيرورة التّراكم القّيمي والتشريعي"[1].

وقال أيضا:" القصص القرآني هو مجموعة أحداث إنسانية تّم تسجيلها بعد وقوعها يدخل عالم الممكنات، وبعد وقوعه يدخل في عالم الحتميات- إذ لا رجعة فيه- ويتحّول إلى حقيقة تاريخية موضوعية"[2]. وقد عرّفه القّطان بأنّه" قصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية والنّبوات السّابقة والحوادث الواقعة"[3]. وعليه من خلال هذه التعريفات الاصطلاحية يظهر أنّ القصص القرآني هو قصص هادف فلا يمكن اعتباره ترف فنّي أو تاريخي أو سرد لمجرد السّرد والمتعة الفنّية، لأنّ مصدره هو القرآن الكريم نفسه، وهو ذلك الوحي الإلهي، وهذا ما أكّد عليه الطّاهر بن عاشور" أن القِصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض*، وتجديد النّشاط، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شّر، لأنّ غرض القرآن أسمى وأعلى من هذا"[4]، ولقد نبّه الجابري إلى نقطة مهمّة وهي أهمّية الحوار في القصص القرآني والقيمة الإقناعية التّي يُكَوّنها، ليُؤكّد على أنّه أُريد منه العظّة والتذكير، لا السرد القصّصي فقط، حيث قال:"... في ذلك سّر من أسرار صلاحية هذا الكتاب للتشريع والحكم في كلّ الأزمنة والأمكنة، فالإنسان هو ذات المخلوق إن كان لامعًا يُشار إليه بالبنّان(...)، ولو أنّنا أردنا إقناع شخص أو جماعة بفكرة

[1] محمد شحرور، القصص القرآني، دار السّاقي، مؤسسة الدّراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، لبنان، 2010، الطبعة الأولى، ص14.

[2] محمد شحرور، القصص القرآني ، ص21.

[3] مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2000م، ص317.

* الإحماض: من أحمض القوم : أفضوا فيما يؤنسهم، ينظر الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 1، ص64.

[4] المرجع نفسه، الجزء 1، ص64.

لكانت القّصة هي الطّريق القصر والأكثر سلامة والأبلغ حجّة والأنجح وسيلة، ذاك أنّ فيها الحوار، والحوار فيه الأخذ والرّد، الإيجاب والسلب، ولكن مع ذلك فيه الدّليل والحجّة"[1].

ومن هذا الكلام يتجّلى أنّ القرآن الكريم اهتّم "بأشكال التعبير النثري التّي تحقّق أهدافه وغاياته السّامية كالقصة والخطاب والحوار، كما لم يفعل أيّا من أنماط الكلام خبراً وإنشاءً، أو أيّا من أساليب المخاطبة سواء بالأمر والنهي والزجر والوعظ والترهيب والترغيب المباشر أم ببسط الحقائق بصورة مباشرة"[2].

لهذا كثيرا ما نجد في القصص القرآني عدّة أحداث فيجتمع التّحد والسخرية، الأمر والنهي، والختم بالموعظة المستخلصة بشكل واضح وصرّيح، فاجتماع هذه العنّاصر والمميّزات يجعل تأثيرها أوسع على اختلاف الميولات والطبائع.

لذلك يمكن اعتبار أنّ للقصص القرآني أنواعاً، فهناك النوع الأوّل **قصص الأنبياء:** وهي ما تضّمنت دعوة الأنبياء أقوامهم والصّبر عليهم وإتيانهم بالمعجزات وصّد أقوامهم كقصّة سيّدنا نوح، سيّدنا يونس، سيّدنا لوط، سيّدنا عيسى وسيّدنا موسى عليهم السّلام، والنوع الثّاني وهو **قصص الغابرين:** وهي قصص تتحدّث عن أناس وأقوام غابرة كقصّة ابني آدم وأهل الكهف وذي القرنين وأصحاب السّبت وأصحاب الأخدود وطالوت وجالوت وغيرها الكثير، والنوع الثّالث: **قصص حوادث زمن الرّسول-صلى الله عليه وسلم-:** كغزوات الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- وحادثة الإفك وقصّة تبنّي زيد بن حارثة، وقصّة المجادلة التّي أتت تشكي زوجها، وقصّة أذية واستحياء الرّسول -صلى الله عليه وسلم-.

[1] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه ومعطياته، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ص2-3.

[2] فضل حسين العبّاس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، 2010، الطبعة الثالثة، ص43.

ومن مميّزات القصص القرآني نجد مثلاً " نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص مثال ذلك قوله تعالى چڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک کچ[1]، فقد حُكِيت مقالته هذه موقع تذكير أصحابه بها لأنّ ذلك من حكايتها ولم تُحكَ أثناء قوله:چ پ پ پ ٺچوقوله: چڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃچ[3]"[4].

من مميّزاتها أيضا طيّ ما يقتضيه الكلام، وأنّها بُثَّت بأسلوب بديع وشيّق.

المطلب الثّاني: أغراض القصص القرآني

للقصص القرآني فوائد كثيرة " فإثبات الوحي والرّسالة ولإثبات وحدانية الله، وتوحد الأديان في أساسها، والإنذار والتبشير، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشّر، والعجلة والتّريث، الصبر والجزع، الشكر والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدّينية والمرامي الخلفية قد تناولته القّصة، وكانت أداة له وسبيلاً إليه"[5].

إذ يُعدّ القصص القرآني من أنجع الأساليب للتقويم و الهداية، بحيث روى القرآن لنا قصص السّابقين وقدّمها بطرق مثيرة للعواطف، حاملة في طيّاتها بذور الإيمان، إذ تعتبر سلاحا نفسيّا داعما في الدعوة المحمدّية إلى عقيدة التوحيد، و إقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار بسمو العقيدة وبذل أغراضها.

بحيث أكّد السيّد قطب على أنّ القصص جاء لتحقيق أغراض دينية وكانت بدايتها:

1-إثبات الوحي والرّسالة:

---

[1] سورة القلم، الآية: 26-27.

[2] سورة القلم، الآية: 17.

[3] سورة القلم، الآية: 21-22

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء1، ص65.

[5] سيّد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، دار الشروق، مدينة نصر، مصر، الطبعة الشرعية المعاصرة ، 1408/1988هـ، ص144.

جاءت القصّة القرآنية لتؤكّد على أنّ ما انزل على سيّدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– ليس افتراء وإنّما هو وحي أنزله الله – عزّ وجل– عليه، "فمحمد –صلى الله عليه وسلم– لم يكن كاتباً ولا قارئا، ولا عُرِف عنه أنّه يجلس إلى أحبار اليهود والنّصارى؛ ثمّ جاءت هذه القصص في القرآن (...) كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى، فورودها في القرآن الكريم اتّخذ دليلا على وحي يوحى"[1]، فكيف برسول لم يُجالس القاصّين، ولم يخرج إلى غير قريش أن يعرف قصص السّابقين التّي لم توجد حتّى في كتب رهبان اليهود.

ومن أمثلة هذا قوله تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﭼ[2].

وجاء في سورة "**ص**" قبل عرض قصّة آدم: قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ[3].

وجاء في سورة هود بعد قصّة نوح في قوله تعالى:ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﭼ[4].

2–إثبات وحدة الدّين والعقيدة لدى الأنبياء:

بحيث ثبت أنّ جميع الأنبياء على دين واحد وعلى عقيدة واحدة، ودليل ذلك في قوله تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﭼ[5] ، وقوله تعالى:ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ[6]، والآيات كثيرة على ذلك.

---

[1] المرجع نفسه، ص145.
[2] سورة القصص، الآية: 44- 46.
[3] سورة ص، الآيات: 67–70.
[4] سورة هود، الآية: 49.
[5] سورة هود، الآية:25.
[6] سورة هود، الآية:50.

إذن كلّ القصص القرآني يتحدّث على عقائد الأنبياء: دين واحد، معتقد واحد، والاختلاف إنّما في الشّرائع وليس العقيدة.

قال السيّد قطب:" بيان أنّ الدين كلّه من عند الله، من عهد نوح إلى عهد محمد، وأنّ المؤمنين كلّهم أمة واحدة"[1].

3-الأساليب الدعوية للأنبياء واحدة:

فلقد كان مذهبهم واحداً وهو الدعوة إلى الله -عزّ وجلّ- وعبادته ونبذ الأصنام، خاصة وأنّهم لاقوا الرفض نفسه من أقوامهم وجحودهم، لذلك تكرّرت فيها طريقة الدعوة.

4-بيان نصر الأنبياء في النّهاية وهلاك المكذّبين:

قال الله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[2]، يقول السيّد قطب " ينصر الله أنبياءه في النهاية ويهلك المكذّبين، وذلك تثبيت لمحمد وتأثيرا في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان"[3].

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[4]. وقال أيضاً: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽

[1] سيّد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، ص146.

[2] سورة هود، الآية 120.

[3] سيّد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، ص151-152.

[4] سورة العنكبوت، الآية: 14-15.

□ □ □ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ [1].

5-بيان نعمة الله على أنبيائه:

وتظهر كرامات الله -عزّ وجّل- "كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى و زكرياء ويونس وموسى(...) تبرز فيها النعمة في مواقف شتّى"[2]، فكان الله ينعم على عباده بإجابة دعائهم لأنّهم عباده الصالحون، فأعطى سيّدنا عيسى المائدة ونجّى يونس من بطن الحوت وأخرج لصالح النّاقة من الحجر.

6-تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان:

يعدّ هذا الغرض من أبرز الأغراض لأنّه يظهر العداوة الخالدة بين بني آدم وبين الشيطان، والقصّة القرآنية من شأنها أن تقوي الإحساس لدينا بشناعة فعل إبليس من عصيان وحسد وتكبّر ووسوسة وإخراج، فتدعونا إلى أخذ الحيطة والحذر الشديد.

كانت هذه أهّم الأغراض التي تعرّض إليها السيّد قطب في كتابه **(التصوير الفني)** ويمكن اعتبارها جامعة واضحة للقصص القرآني، كما أكدّ على وجود أغراض متفرقة " بيان قدرة الله على الخوارق كخلق آدم، وقصّة مولد عيسى وقصّة إبراهيم، والطير الذّي آب إليه(...)، بيان عاقبة الطّيبة والصّلاح، وعاقبة الشّر والإفساد(...)، وبيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة والحكمة الكونية الإنسانية البعيدة الآجلة"[3] .

وخلاصة القول يعدّ القصص القرآني تنبيها للعقول ولفت الانتباه إلى ما حدث للأمم الغابرة، وأورد منها الكثير لا لمجرّد الاستمتاع والإطّلاع، بل تعتبر مرآة تتجّلى فيها سنن الله في خلقه،

[1] سورة العنكبوت، الآيات: 16-24.

[2] السيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص154.

[3] المرجع نفسه، ص155.

ولهذا سماع القصص وفهمها يعّد نجاة من الهلاك والخسران المبين، قال الله تعالى:ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ
ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭼ[1].

خاصة وأنّها كانت مجملها غيبيات، لأنّه أحداث أقوام ثابتة لم يكن للنّبي –صلى الله عليه وسّلم– علم بها، إنّما هو الوحي ينبّئك بهذا الله الذّي يعلم الغيب وما يخفى، إضافة إلى اعتبارها سلاحاً نفسّياً داعما للدعوة المحمّدية للتوحيد، وإقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار.

ليأتي بعده التعقيب الأخير" نستمدّه من عاقبة القرى ومن مشهد القيامة لتقرير أنّ المشركين الذّين يواجههم سيّدنا محمد–صلى الله عليه وسلم– شأنهم شأن من قبلهم في الحالين ، وإذا كان عذاب الاستئصال لا يقع عليهم في الأرض، فذلك لكلمة سبقت من ربّك إلى أجل ، كما أجّل العذاب لقوم موسى –عليه السّلام– مع اختلافهم فيما جاءهم من كتاب، ولكن هؤلاء وهؤلاء سيوفّون أعمالهم على وجه التأكيد، فاستقم أيّها الرسول على طريقك أنت ومن تاب معك، ولا تركنوا إلى الذّين ظلموا وأشركوا وأّقم الصّلاة واصبر، فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين"[2].

وهذا هو أجّل معاني التسلية في القصص القرآني من الصّبر والانتظار.

المبحث الثاني: مفهوم التسلية وأدّلتها من القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم التسلية

[1] سورة ق، الآية 37.

[2] سيد قطب، في ضلال القرآن، ص2.

جاء القصص القرآني حاملاً أخبار السابقين من الأنبياء والمؤمنين وأحوالهم، وكذلك أخبار الكّفار والمفسدين وانتقام الله منهم، حاملة حكما وأغراضا كان أهّمها تثبيت فؤاد النّبي –صلى الله عليه وسّلم– وكما قال العلماء تسلية نبيّه، فهي تعاهد مستمر للنّبي ليدّل على مكانته عند ربّه، وعليه فلقد حاولنا تتبّع المشاهد القرآنية التي جاءت بهدف اسلية الأنبياء والمرسلين عند نزول الشّدائد بهم.

1-لغة:

جاء في لسان العرب:" سلا، سّلاه وسلّى عنه وسلّيه: نسيه وأسلاه عنه فتسلّى"[1] .

قال الجوهري:" وسلّاني من همّي تسلية، وأسلاني أي كشفه عنّي، وانسلى عنّي الهّم وتسلّى بمعنى انكشف، وفي التنزيل العزيز: چ ې ې ې ى چ السلوى: طائر، وقيل: طائر أبيض مثل السُّمانى، واحدته سلواة، والسلوى : العسل: وجاء في مختار الصّحاح الكشف، سلّاه من همّه كشفه عنه، ومنه السلوان: دواء يسقاه الحزين"[2].

2-اصطلاحاً:

جاءت في باب الحثّ على التّأسي بالسابقين الصالحين(...) "فقوله تعالى: چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ چ (...) وليس من التسلية معلومة عند النّاس بل التسلية بمعنى المواساة كما قالت الخنساء في بيت شعري لها مشهور:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسّي

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص2086.

[2] انظر، محمد بن أبي بكر الرازي،مختار الصّحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ص326.

(...) فجاءت جملة آيات في كتاب الله تحثّ على التأسّي بالسابقين وتواسي الأنبياء وأهل الصلاح وتسّليهم"[1].

، وقيل أنّها "تخفيف ما في النفس من الحزن" [2]، إلاّ أنّ لا يرد بالمصطلح ذاته في القرآن الكريم ، لكن ورد لفظ قريب منه وهو السّلوى.

ولقد وردت في ثلاثة مواضع:

- قال الله تعالى: ﭽ ۋ ۋ ې ې ﭙ ﭘ □ﭼ[3].
- قال الله تعالى: ﭽ ﭬ ﭬ ﭭ ﭭ ﭴ ﭴ ﭼ ﭼ[4].
- قال الله تعالى: ﭽ ﭺ ﭼ ﭼ ﭻ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ ﭼ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ ﮅﭼ[5].

وقال ابن الكثير:" وهو طائر يسقط عليهم، فيأخذون من كلّ قدر حاجة إلى الغد "[6].

وجاء في تفسير الطبري:" السلوى اسم طائر يشبه السّماني"[7].

ومنه فإنّ التقارب يحمل خيطاً رفيعا بينهما، فالتسلية بمعنى التخفيف والسّلوى لأنّه لطّيبه يسّلي.

أمّا مفهوم التسلية في القرآن الكريم يمكن أن نقول أنّه ظهر مبهما إلاّ أنّه توجد بعض الآيات التّي تقدّم إرشادات تساعد على تعزيز الشّعور بالأمان والسّكينة، وهي أسس مهمة للتسلية والرّفاهية النفسية، من أمثلة هذا:

---

[1] أبو عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية المصري، سلسلة التفاسير، http://www.islamweb.net

[2] عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى، 1356هـ، المجلد 6، ص405.

[3] سورة البقرة، الآية : 57.

[4] سورة الأعراف، الآية: 160.

[5] سورة طه، الآية: 80.

[6] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع،ص302.

[7] الطبري، تفسير الطبري، المجلد الخامس، ص216.

- الصبر والمثابرة: قوله تعالى:چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ [1].

بحيث يذكر الله –عزّ وجّل– أنّ الصبر على المكاره والابتلاءات هو نعمة، إذ يمنح المؤمنين عزاءً وراحة في مواجهة الصعوبات، كذلك التسليم والإذعان ممّا يبعث الراحة والطمأنينة في نفس الانسان.

- تذّكر نعم الله: قال الله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ چ [2]، بحيث يحبّ الله تعالى– عزّ وجّل– المسلمين على تذّكر النعم والفضائل التّي أنعم بها عليهم، والتّي يمكن أن تكون مصدرا للطمأنينة والرّضا، فالعفو والتجاوز فيه تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة وردع عن اليأس والقنوط.

- الألفة والمحبة: قال الله تعالى:چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ چ [3]، بحيث أكّد الله تعالى على أهمية الألفة والمحبّة بين الناس، والتّي يمكن أن توّفر الراحة والدّعم العاطفي، فالرجّل يمسك المرأة إمّا لمحبّته لها أو رحمة بها، أو للألفة بينهما.

المطلب الثاني: أدلة التسلية من القرآن الكريم

قال الله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ چ [4]. يقول ابن عاشور:" استئناف معترض به بين قوله: چ ٹ ٹ ٹ چ وبين قوله: چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ چ ومناسبته هنا أصناف من الناس(...) ينفقون أموالهم رئاء النّاس(...) يبطلون صدقاتهم بالمّن والأذّى(...) ، وكان وجود هذا الفرق

[1] سورة البقرة، الآية: 156.
[2] سورة آل عمران، الآية: 134.
[3] سورة الروم، الآية: 21.
[4] سورة البقرة، الآية: 272.

ممّا يثقل النّبي –صلى الله عليه وسلم– فعقّب الله –عزّ وجّل– ذلك بتسكين نفس رسوله والتّهوين عليه بأنّ ليس عليه هداهم ولكن عليه البّلاغ"[1].

وبداية الخطاب " **ليس عليك**" فهو يشير أنّه موجّه إلى الرسول –صلى الله عليه وسّلم– وقول " **عليك**" تفيد الاستعلاء المجازي، يقول ابن عاشور:" أي طلب الفعل على وجه الوّجوب، والمعنى ليس بذلك بواجب على الرسّول، فلا يحزن على عدم حصول هداهم لأنّه أدّى واجب التبليغ"[2]، فهو من واسى الله –عزّ وجّل– نبيّه وسّلاه لما علمه منه من حزن على القوم المتقلّبة وجوههم بين الكفر والإيمان والنّفاق، فأراد أن يُهوّن الأمر عليه بقوله: چچ چ چ چ ديد چ تقديرها " ولكن هداهم بيّد الله وهو يهدي من يشاء، فإذا شاء أن يهديهم هداهم، فلا تجزع يا محمد من القوم الظالمين"[3].

3–قال الله تعالى: چ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ب پ پ پ پ پ پ چ [4].

جاءت التسلية في قوله : چ □ □ □ □ □ □ □ □چ بحيث قال ابن عاشور" وفي هذا التفريع بيان لسبب عدم انتفاعهم بسماع كلام النّبي–صلى الله عليه وسّلم– وتسلية له وللمسلمين فقربت إليه هذه الحالة الحزينة بأنّ أولئك المجتمعين بمنزلة صّم لا يعقلون في أنّهم حرموا التأثّر يما يسمعون من الكلام، فساووا الصّم الذّين لا يعقلون في ذلك"[5]. وتعقيبا على قول الطاهر بن عاشور فلقد ظهرت التسلية لنفس رسول الله– صلى الله عليه وسّلم– بأنّ لا نفع من الاستماع لكلامك ولا أثر له في قلوبهم، لأنّه عميت الأبصار وعميت العقول، وكذلك هناك تسلية للمسلمين أنّ لا نفع من نصح العباد المغشية قلوبهم والمعمية أبصارهم.

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء3، ص 69.

[2] المرجع نفسه، الجزء3، ص71.

[3] المرجع نفسه، الجزء3، ص72.

[4] سورة يونس، الآية: 42–43.

[5] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء11، ص177.

4- قال الله تعالى: چ □ ی ی ﯾ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □چ[1].

يقول الغزالي في تفسير الآيات السابقة:" ولقد استهزئ برسل من قبلك، أنّ الحزن أخذ مأخذه من الرسول وأثّر فيه، فكيف لا وهو الشريف العفيف الصّادق الأمين الذّي طاله تكذيب قومه منتظرًا تدّخلا سماوياً حاسما. ليقول له ربّه چ ۓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ چ أي يا محمد أنّ تكذيبهم إنّما هو ترجمة لمحاربة ربّك وجحداً برسالته فاصبر على ما يقولون، ولكن الله كان يعلم ما في نفس نبيّه التّي كانت تتوق إلى فارق يُخرس ألسنتهم"[2]، فأتاه الرّد المبين من ربّ العالمين بحيث أراد أن يُفهم نبيّه الكريم " أنّ آفة هؤلاء من عقولهم التّي جعلتهم يُنادون من مكان بعيد نهم صّم عن سماع الحق"[3].

والبشر لهم أمد محدود في غياب الحرّية العقلية، فإذا استوفوا آجالهم الذّي يعقلون فيه، قال القدر كلمته، ويقول ابن عاشور في نفس الآية" چ ۋ ۋ ې ې ى ى □ □ □ چ لا تحزن، وإن أحزنك ذلك فإنّهم لا يكذّبونك والحال قد كذّبت رسل من قبلك، والكلام على كلّ تقدير تسلية وتخويف وتكريم بأنّ إساءة أهل الشّرك لمحمد –صلى الله عليه وسلّم– هي دون ما أساء الأقوام إلى الرسّل من قبله(...) وفي الكلام أيضا بمن قبله من الرّسل"[4].

أيضا ظهرت التسلية في الآية التي تليها في قوله تعالى: چ □ ی ی ﯾ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ وهي معطوفة على جملة چ ۓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯗ چ يقول فيها ابن عاشور "... كان يحزنه ما يقولونه فيه من التكذيب به وبالقرآن حزنا على

[1] سورة الأنعام ، الآية: 35.

[2] محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لصور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1995، ص95.

[3] المرجع نفسه، ص95.

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزءَ7، ص203.

جهل قومه بقدر النّصيحة وإنكارهم فضيلة صاحبها(...) وقد سّلاه الله تعالى عن الحزن الأول بقوله: چ ۇ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ "[1].

إذن الذّي آذى الرسول- صلى الله عليه وسّلم- وأحزنه هو تكذيب قومه للقرآن الكريم المنزّل وهو يعلم أنّهم يعلمون أنّه الحّق المنزّل من الله ، لكن ذلك زادهم جحوداً خاصّة وأنّ رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسّلم- عُرِف بصدقه وعفّته وشرفه بين أقوامه، فلم يكن حزنه لطعنه في حُسن سيرته ولكن حُزنه كان لله –عزّ وجلّ-، فكان الله به عليماً، فسّلاه بما يطمئن فؤاده ويثبّت عزيمته.

5-قال تعالى:چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[2].

أراد الله –عزّ وجّل- في هذه الآيات أن يبعث الراحة والطمأنينة في نفس نبيّه من كثرة ما عاناه و لاقاه من قومه، بسبب حرصه على هداية الناس، فبيّن الله- عزّ وجّل- له "أنّ من كتب الله عليه الشّقاوة فلا يسعده أحد، ومن أظله الله بسبب انحرافه وزيفه فلن يهدّيه أحد، فلا تُذهب نفسك عليهم حسرات ولا تحزن عليهم بسبب استمرارهم على الكفر، فأراد الله –عزّ وجّل- تسلية نبّيه –عليه الصلاة والسّلام-، يقول ابن عاشور:" ...فإنّ في ذلك نداء على مكابرتهم وغباوتهم، وعذراً للنبّي –صلى الله عليه وسّلم في الحرص على إيمانهم وتسجيلاً بأنّ من لم يفتح سمعه و قلبه لتلّقي الحّق والإرشاد لا ينفع فيه حرص ولا ارتياد"[3]، فالمختوم على قلبه بالكفر لا تنتظر منه نفعاً ولا هدايةً فقد كُتب عليه الشّقاء ولو استغفرت له.

6- قال الله تعالى:چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ چ چ چ چ[4]. يقول ابن

[1] المرجع نفسه، الجزء7، ص203.

[2] سورة البقرة، الآية: 6-7.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء1، ص252.

[4] سورة النمل، الآية:80.

عاشور:" ... وهذا عذر للرسّول –صلى الله عليه وسّلم– وتسلية له..."[1]

بحيث يخاطب الله – عزّ وجّل– نبيّه –صلى الله عليه وسّلم– بأنّ إعراض المشركين ليس تقصيرا منه، وإنّما هو جحودهم وكفرهم، مطمئناً إيّاه ومُسّليا بأن يتوكّل على الله فيما هو قاضٍ، منزّها إياه بالعظمة الكاملة في موقع لم يُخاطب به أحداً من رسله من قبل، قال الله تعالى: چڈ ڈ ژ ژچ [2]، فما كان على الرّسول إلاّ البلاغ أمّا الهداية والإنابة فهي بيد الله –عزّ وجّل– لأنّها أمور خارجة عن قدرة الرّسول–صلى الله عليه وسّلم– وقدرة البشر.

7–قوله تعالى:چ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀچ[3]. يقول الطّاهر بن عاشور :" هذا استئناس ابتدائي وتمهيد لإعادة الكلام على ما كان يوم أحد وما بينهما(...)، وهذا مقدمة التسلية والبّشارة الآتيتين بحيث ابتدأت هاته المقدمة بحقيقة الاعتبار بأحوال الأمم السابقة"[4].

وقد جاءت هاته الآيات لما ظهر كسر الخواطر نتيجة الهزيمة للمسلمين على اتّخاذ أسباب الفشل والوّهن*، لذلك غلّظ الله في خطابه حتّى لا يتسلّل الأمر إلى نفوسهم، ويعطف بالبشارة چ ۓ ۓچ فهو هنا يطمئنهم بعلّو مقامهم وينصّرهم، فمن وجد الإسلام ماذا فقد؟.

وتأتي الآية بعدها فيها تسلية أيضا في قوله تعالى: چ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئوچ[5]، يقول ابن عاشور:" في الآية تسلية عمّا

[1] المرجع السابق، الجزء20، ص34.

[2] سورة النمل، الآية:79.

[3] سورة آل عمران، الآية: 137.

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء4، ص95.

* الوهن : الوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة ، فيترتّب عليهما الاستسلام وترك المقاومة، ينظر الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء4، ص 98 .

[5] سورة آل عمران، الآية: 140.

أصاب المسلمين يوم أحد من هزيمة بأنّ ذلك غير عجيب في الحرب، إذ لا يخلو جيش من أن يُغلب في بعض مواقع الحرب"[1].

فالله –عزّ وجّل– يسّلي صحابة النّبي بأنّ الهزيمة كما كانت لهم، فلقد كانت لما قبلهم في موقعة بدر، فليس عليكم الحزن والهوان والشّك في وعد الله بالنّصر، وأنّ هزيمتهم ليست كالهزيمة وإنّما كانت لهم كفاحا. قال ابن عاشور:" وبهذه المقابلة بما أصاب العدّو يوم بدرٍ تعين أن يكون الكلام تسلية وليس إعلاما بالعقوبة"[2].

المبحث الثالث: أثر التسلية في القصص القرآني عند المتّلقي

يتّضح من خلال القصص القرآني أنّ التسلية في هذا السّياق لا تعني المرح واللعب واللهو والضّحك، بل تعني العظة والعبرة ومراعاة لحال المرسل إليه، الذّي غالباً ما كان رسول هذه الأمّة –صلى الله عليه وسلم– إضافة إلى صحابته والتابعين، وبقيت رسالتها سارية إلى يومنا هذا وباقية إلى يوم يُبعثون، فالقصص القرآني يحمل في طيّاته دروساً وحكماً تستفيد منها النفس البشرية، وتدعوا إلى التفكير والتأمّل في آيات الله، فهي إذا بمعنى ترقية النفس والتعليم والإرشاد إلى الطريق الصّحيح، وليس فقط تسلية النفس بالمناهج الدنيوية.

وللتسلية في القصص القرآني آثار عديدة ومبهرة، تثير اهتمام المستمعين والدارسين لها، فهي لها أهداف روحية :

– تترك أثرا روحيّا في أخلاقيات الإنسان المؤمن وتزيد من إيمانه وتثبيته بمبادئه خاصة بعد معرفة حال المرسل ونصرة الله لهم على أقوامهم الكافرة.

– التوكّل على الله في تسيير الأزمة والثّقة به في الخروج منها بأمر الله وقدرته خاصة بعد نصره لأنبيائه على أقوامهم الكافرة ونهاياتهم المستحقة.

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، الجزء4، ص 99 .

[2] المرجع نفسه، الجزء، ص 100.

- إظهار عجائب قدرة الله –عزّ وجّل– في تسيير حال الأنبياء والمرسلين والعباد الصالحين.

- توصيل الرسالة الإلهية للعباد في قوله تعالى: چ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ چ[1].

- الابتلاء سنّة ربّانية للعباد بحيث جعل الله الابتلاء رحمة لنفس المؤمن ، وتعزيزاً لقدرته على التّحمل والصبر وإصلاحاً للسير في درب الأنبياء والصالحين، فكان الرّسل أول المبتلون، فهو ينزّل على قدر الإيمان، كذلك الاصطفاء الذّي يعقب البلاء فإنّه ينزل بقدر عظم البلاء، لقوله تعالى:چۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ[2].

وقوله تعالى:چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ[3]

إضافة إلى الأهداف التربوية المتمثّلة في:

- الاستفادة من تعلّم الدروس والحكم التي تتضّمنها لتحسين سلوكه وتوجيهه نحو الخير.

- تحفيز التأمل والتفكير في آيات الله، وتدعوا للتأمل في القضايا الحياتية والأخلاقية بأخذ العبرة من السابقين.

- تعلّم الصبر والإصرار والثّبات في مواجهة المعارضات والسخرية والتكذيب.

- الصبر والثّبات في سبيل الدعوة إلى الحق.

- المساعدة على التأمل والتحليل والتوجيه في الحياة السّوية.

- تربية التابعين على السّير على خطى الأنبياء والصالحين، خاصة وأنّ الطريق إلى الله محفوف بالمخاطر و المكاره والفتن، فكانت القصص وما فيها من عبر وسيلة لتوضيح الطريق ومخاطره وكيفية تثبيت النّبي– صلى الله عليه وسلم– بنصر الله له على قومه وما لاقاه.

---

[1] سورة الطلاق، الآية: 2–3.

[2] سورة الأنعام، الآية: 42.

[3] سورة البقرة، الآية:155.

- الدعوة إلى عدم الحزن وعدم الخوف، قال الله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭼ[1].

وقال تعالى:ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﭼ[2]، قال الطنطاوي:" النهي عن الحزن الذّي هو أمر نفسي لا اختيار للإنسان فيه من النهي عن لوازمه كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب وتعظيم أمرها"[3]

- معرفة أنّ السير على طريق الأنبياء والمرسلين والدّعاة طريق وعر لا يسلكه إلاّ المؤمنون الأتقياء الذّين يخافون ربّهم ويخشون يوم الحساب.

- التيّقن بوعد الله –عزّ وجّل– والثّقة بوعده، فهو يعتبر صفة أنبيائه وأوليائه والتابعين.

[1] سورة القصص، الآية: 7.

[2] سورة آل عمران، الآية: 167.

[3] الطنطاوي، تفسير الوسيط، الجزء 1، ص1265.


الفصل الثالث

الفصل الثالث: الأبعاد الحجاجية للتسلية في القصص القرآني

المبحث الأول: الأبعاد الحجاجية في قصص الأنبياء.

المبحث الثاني: الأبعاد الحجاجية في قصص النساء.

المبحث الثالث: الأبعاد الحجاجية في قصص الصالحين.

تمهيد:

إنّ الانتشار الكبير لمعنى التسلية في القرآن الكريم يدّل على أهمية هذا الموضوع، لأنّ فيها التسلية وتثبيتاً ومؤانسة لقلوب المؤمنين، وتفريجا لمكنونات قلوبهم، وخاصة في زمن الأنبياء والمرسلين الذّين واجهوا كفر وجحود واستهزاء وسخرية وتحدّي أقوامهم، فكان لابدّ لهم من الدّعم النفسي والمادّي، وهذا ما ظهر في القرآن الكريم واضحا في خطابات الله –عزّ وجّل– لهم، وفيما يلي سنحاول تقديم ولو جزء بسيطاً ممّا تناوله القصص القرآني والآثار المبنية عليها في نفس الأنبياء والأولياء الصالحين، وفي نفسية النّبي –صلى الله عليه وسلم– خاصّة والمسلمين عامّة.

المبحث الأول: الأبعاد الحجاجية في قصص الأنبياء

1- قصّة سيّدنا آدم- عليه السّلام-:

قال الله تعالى: چ ۋ ۅ ۅ ۋ ۉ ې ې ﯦ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[1].

1-1- تفسير الآيات:

جاء في تفسير الطبّري" واذكر يا محمدچۋ ۅ ۅچيقول فإذّا صوّرته فعدّلت صورته، چ□ □ □ □ □ □چفصار بشراً حيّاً چ □ □ □چأي سجود تحية لا سجود عبادة،(...) فلمّا خلق الله ذلك البشر ونفخ فيه الرّوح بعد أن سّواه سجد الملائكة كلّهم جميعاً"[2].

أمّا الطاهر بن عاشور عقّب على هذه الآيات بقوله:" البشر مرادف للإنسان، أي إنّي خالق إنسانا وقد فهم الملائكة بما ألقى الله فيهم من العلم،(...) وإنّما ذكر للملائكة المادة التي منها خلق البشر ليعلموا أنّ شرف الموجودات بمزاياها لا بمادة تركيبها، كما أومأ إلى ذلك قوله: چ□ □ □ □چ (...) فالتسوية: تعديل ذات الشيء،(...) والنفخ إخراج الهواء مضغوطا بين الشّفتين مضمومتين كالصّفير..."[3].

وعليه فإنّ قصّة خلق آدم كأنّها مرّت بمراحل أوّلها بداية آدم كانت ترابا، ليختلط التّراب بالماء ليصبح طيناً، إذ تعتبر هاته المّواد من أنقى وأطهر المواد على الأرض، وزاد شرف ذلك الطين أن شّكله الله عزّ وجّل في صورة إنسان على عكس باقي المخلوقات التّي وجدت بكلمة كن فيكون، ثّم نفخ فيه العزيز الكريم ممّا زاده شرفاً، والنفخة الرّبانية هي قمّة التكريم والتقدير، فخلق الإنسان ما هو إلاّ رموز بها نعرف قيمة الإنسان في هذا الكون، وبهذا ينبعث الأمن والطمأنينة والأنس والتسلية في نفوس العباد بأنّهم أكرم مخلوقات الله، وأكرمنا بإمارة الأرض

[1] سورة الحجر، الآيات: 28-30.

[2] محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تفسير الطّبري، تحقيق الدكتور بشار عوادة معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ، 2015، المجلد4، ص 478.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،الجزء 14،ص43.

حتى نصلح فيها ولا نكون من المفسدين، وما أمر الله للملائكة بالسّجود لآدم سجود التّحية لا سجود عبادة؛ إلاّ قوة للإنسان وتشريفا له.

1-2-الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصّة سيدنا آدم:

البحث في البعد الحجاجي يستلزم النّظر في الآليات المعتمدة في الخطاب والبحث عن غرض الحجاج فيه، إضافة إلى قوّة التركيب فيه بهدف التأثير في المرسل إليه، ويظهر في الآية الكريمة خطاب الله عزّ وجل للملائكة بخلق آدم والذّي هو ليس بحاجة إلى ذلك، ليوضّح لهم قيمتهم بهدف ترك الأثر وهو الفخر في نفوسهم.

أمّا قوة التراكيب ظهرت في الألفاظ القوّية التالية،چ□ □ □ □چبمعنى "أحييته، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ؛ وإنّما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه"[1]، كذلك "**قال ربّك** "، "**خالق**"، "**بشرا**" "**سوّيته**"، "**نفخت**"، "**روحي**"، "**قعوا**"، "**ساجدين**"، فكيف لا يكون المظهر قوّيا وربّ العباد قائله، وكيف لا يكون المخلوق عظيما وربّ الخلق صانعه، وكيف لا يكون الخلق كاملا وربّ العزّة نافخه، وصيغة الأمر "**قعوا**" " اسقطوا له ساجدين وهو الوقوع لقصد عظيم"[2].

وتظهر تسلية الله –عزّ وجلّ– هنا لأنبيائه ورسله وعباده بأنّهم أكرم خلقه وبقي فضل الخلق إلى يومنا هذا بعبادتنا وحملنا الأمانة و اتّباعنا أوامر الله وتجنّب نواهيه.

1-3-الفوائد المستخرجة من القصّة:

قصّة سيّدنا أدم –عليه السّلام– مليئة بالعبّر والفوائد للتأمّل فيها، حيث ظهرت التسلية:

– تسلية نفس سيّدنا آدم –عليه السلام– لأنّه أحسن مخلوقات الله وأكرمهم، بحيث جعل الملائكة تسجد له سجود التحيّة وحمل الأمانة.

– تسلية النفس البشرية بأن جعلها أكرم خلقه بدوام النّسل إلى يوم يبعثون مع تكريمهم بحمل الرّسالة والدعوة إلى الله، فجعل منهم الأنبياء والمرسلين.

---

[1] الزمخشري، الكشّاف، الجزء3، ص405.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 14، ص45.

2- قصّة سيدنا نوح عليه السّلام

قال الله تعالى: چ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ
ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی ی □ □ □ □ □ □
□ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٽ ٽ
ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ چ چ چ ڍ ڍ ڌ
ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ گ ں
ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ
ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ
ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٽ ٽ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ
ڃ ڇ ڇ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک
گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ
ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ
ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٽ ٽ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ
ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک
ک ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ
ھ ھ چ[1].

2-1-تفسير الآيات:

دار بين نبّي الله نوح –عليه السّلام– وبين الجبابرة حوار، فهو يدعوهم إلى عبادة الله چ ہ ہ ھ ھ چ لكنّهم استكبروا، چ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ ، قال الزّمخشري:" الآية فيها تعريض بأنّهم أحق منه بالنبّوة، وأنّ الله لو أراد أن يجعلها في أحد البشر لجعلها فيهم"[2].

---

[1] سورة هود، الآيات: 24-49.

[2] الزمخشري، الكشّاف،ج3 ، ص193.

فكان جوابه چ □ □ □ □ چ أي " أنكرهكم على قبولها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها"[1]، لكنّ القوم كانوا ظالمين وعلى جهالة وتحدّوا الخالق چ ں ں ڻ چ "وهو العذاب المعجل"[2]. يأتي بعدها أمر الله چ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي چ ،قال الزّمخرشي: " إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجأه، سميّ ذلك إغواء وإضلال"[3]، وقال: چ □ □ چ " إقناط من إيمانهم وأنّه كالمحال الذّي لا تعلّق به للتوّقع"[4]، چ □ □ □ چأي " لا تحزن حزن بائسٍ مستكين(...) فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك، فقد حان وقت الانتقام"[5]، وجاء الأمر الرّباني بصناعة سفينة النّجاة چ□ □ □ چيقول الطّبري: " بعين الله ووحيه"[6]، وقال الزمخشّري:" اصنعها محفوظا (...) كأنّ لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصّواب"[7]، ويصنع الفلك چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ ليغمر الطوفان الجبال ويهلك القوم الكافرين وما هذا إلاّ موعدة من الله تعالى لنبّيه، ولقد جاءت هذه المشاهد العظيمة وكأنّ القارئ يعيشها بأهوالها، ويشتّد البلاء على سيّدنا نوح عليه السّلام في أن كان ابنه من المغرقين، ويأمر الله أرضه وسماءه في مشهد عظيم، قال الزمخشري:" نداء الأرض والسّماء بما ينادي به الحيوان على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله **(يا أرض)**، **(يا سماء)** ثّم أمرهما بما يأمر به أهل التمييز والعقل من قوله(**ابلعي)**، **(اقلعي)** دلالة على الاقتدار العظيم"[8]، ليأتي بعدها النصر العظيم، چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ چيقول الطّبري:" يا نوح

[1] المرجع نفسه، ج3، ص194.
[2] المرجع نفسه، ج3، ص195.
[3] المرجع نفسه، ج3، ص196.
[4] المرجع نفسه، ج3، ص196.
[5] المرجع نفسه، ج3، ص196.
[6] الطبري، تفسير الطبري، المجلد الرابع، ص276.
[7] الزمخشري، الكشّاف،ج3 ، ص197.
[8] المرجع نفسه، ج3، ص203.

اهبط من الفلك إلى الأرض بسلام وأمن من إهلاكنا وعلى قرون تجيء من معك من ولدك"[1]، ليختم الله –عزّ وجلّ– بتذكير نبّيه محمد–صلى الله عليه وسّلم– هذه القّصة وخبر قومه چ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ أي هي من أخبار الغيب التي لم تشهدها، نحن نعرّفك بها ليأتي الدعم والأنس الرّباني في أعظم مقامه

چ ﮋ چ قال الطبري:" على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك كما صبر نوح"[2]، چ ﮊ ﮋ ﮊ چيقول الطبري:" إنّ الخير من عواقب الأمور لمن اتّقى الله"[3].

وعليه ها هي قصّة سيدنا نوح– عليه السلام– تعلّمنا الصّبر في الخطوات فهو النّبي الذي عاش 950 سنة، ولم يؤمن به إلاّ قليل والقليل في لغتنا لا يتعدّى الثمانون شخصا وما كان صبره هيّنا، فصبر على كفر الأهل من زوجة لدودة وابن عاق، وعلى قوم غاشمين ساخرين مستهزئين من بناء سفينة ضخمة في وسط الصّحراء، سفينة يغرس لها الأشجار لتنموا ليجتّثها ويصنع منها ألواحاً تحمل العباد والبهائم، ليأتي الطوفان ويُخلي الأرض من عروشها، قال تعالى: چ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ[4] ليأتي الابتلاء الأكبر مشهد نوح مع ابنه، حتّى أنّ الله من شدّته حال بينهما بالموج، لطفا ورحمة بسيّدنا نوح حتى لا يرى هلاك ولده ويهدأ الموج وتبتلع الأرض الماء وتستوي السفينة فوق الجبل.

2-2-الأبعاد الحجاجية لقصّة سيّدنا نوح –عليه السّلام–:

جاء في التحرير والتنوير أن القصة " انتقال من إنذار المشركين ووصف أحوالهم وما ناسب ذلك إلى موعظتهم بما أصاب المكذّبين قبلهم من المصائب، وفي ذلك تسلية للنّبي –صلى الله عليه وسّلم– بما لاقاه الرسّل–عليهم السلام– قبله من أقوامهم"[5]، بحيث ظهرت التسلية في

[1] الطبري، تفسير الطبري، المجلد الرابع، ص 282.

[2] المرجع نفسه، المجلد الرابع، ص282.

[3] المرجع نفسه، ص282.

[4] سورة القمر، الآية: 10-11.

[5] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء12، ص43.

الخطاب الإلهي لسيّدنا محمد–صلى الله عليه وسلم– حيث قال تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﭼ هنا كان " استئناف أريد منه الامتنان على النّبي –صلى الله عليه وسلم– والموعظة والتسلية ، فالامتنان قوله تعالى ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﭼ والموعظة قوله تعالى: ﭽ ﮪﭼ وأمّ التسلية قول الله تعالى ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ[1].

وكأنّ الله يقول يا محمد اصبر على ما تلاقي من قومك من رفض وأذى وانظر إلى حال أخيك نوح مع قومه، وأنّ ما أصابك قد أصاب الذّين من قبلك ف "**تلك**" لإشارة لإلى ما تقدّم من خبر نوح، و"**الأنباء**" " جمع نبأ وهو الخبر، وأنباء الغيب الأخبار المغيّبة عن الناس أو عن فريق منهم"[2]. بحيث أنّ العرب لم يعرفوا قصّة سيّدنا نوح –عليه السّلام– كاملة، فهم يعلمون ما أصابهم من الطوفان لكن الباقي كان غيبيّاً لم يطّلعوا إلاّ بعد أن قصّها عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسّلم–، فدعوة القوم والصّبر عليهم وكفرهم وعصيان الولد والزّوجة وبناء السّفينة ومن ركب فيها وسخرية القوم من نبّيهم وما دار من الحوارات بينهم كانت كلّها أمور غيبية.

ووجه القياس في هذه القصّة أنّ " حاله مع قومه –رسول الله صلى الله عليه وسلم–على حال نوح –عليه السّلام– فكانت العاقبة له كذلك تكون العاقبة لك على قومك، وخبر نوح –عليه السلام– مستفاد ممّا حكي من مقاومة قومه من ثبات دعوتهم، لأنّ ذلك الثّبات مع تلك المقاومة من مسمى الصّبر"[3].

ولقد حملت هذه الآيات تفاصيل دعوة سيّدنا نوح –عليه السّلام– بأتّم معناها بحيث نقلت مشاهد المعاناة والرفض والسخرية والصبر والإصرار والأدب في الحوار إلى النّبي محمد –صلى الله عليه وسّلم– لتثبّت فؤاده، وكان الاتّساق التركيبي ظاهرا في قوّة الألفاظ وانسجامها مع السّرد القصصي، فأدب الحوار النّبوي كان حاضرا فخاطب سيّدنا نوح– عليه السّلام– خطاب المستعطف الداعي والخائف على قومه من العذاب(لا تعبدو، إلاّ الله، أخاف عليكم، يا قومي،

[1] المرجع نفسه، الجزء 12، ص92.

[2] المرجع نفسه، الجزء 12، ص92.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء12، ص93.

أتاني رحمة، لا أسألكم عليه مالا، لا ينفعكم نصحي)، فكان الإصرار على الدّعوة على الرغم من الرفض الشديد والجدال العقيم.

كما ظهر جحود القوم وتنكّرهم وسخريتهم" **ما نراك إلاّ بشر**" " **ما نراك اتّبعك إلاّ الذّين هم أراذلنا**""**بل تظنّكم كاذبين**" "**نظنّكم كاذبين**" "**قد جادلتنا فأكثرت جدالنا**" "**فأتنا بما تعدنا**" "**سخروا منه**"، فكبرهم وحبّ السيادة والعنصرية أعمت بصائرهم.

أمّا التناسق الدّلالي فظهر بقوة، فكان المجاز العقلي " **عذاب يوم أليم**" "ووصف اليوم بالأليم مجاز عقلي، وهو أبلغ من أن يوصف العذاب بالأليم لأنّ شدّة العذاب لمّا بلغت الغاية جعل زمانه أليما، أي مؤلما"[1].

والاستفهام في " **أرأيتم**" بمعنى استفهام عن الرؤية بمعنى الاعتقاد، وهو استفهام تقريري إذا كان فعل الرؤية غير عامل في مفرد فهو تقرير مضمون الجملة السادة مسد مفعولي رأيتم، ولذلك كان معناه أيلا إلى معنى أخبروني، لكنّه لا يستعمل إلاّ في طلب من حاله حال من يجحد الخير"[2]، والاستفهام " **أنلزمكموها**" إنكاري ، أي" لا نكرهكم على قبولها، فعلق الإلزام بضمير البّينة أو الرحمة"[3].

والتأكيد بإعادة الخطاب " **ياقوم**" تأكيد للخطاب والخبر الإنكاري للدلالة على شدّة إنكار القوم وبهتان ما طلبوه من سيّدنا نوح " **إني إذن لمن الظالمين**" بحيث هناك ثلاث مؤكدات " إنّ ولام الابتداء وحرف الجزاء، تحقيقا لظلم الذّين رموا المؤمنين بالرذالة وسلبوا الفضل عنهم"[4].

"والقصر في قوله:" **إنّما يأتيكم به الله إن شاء الله**" فهو قصر قلب بناء على ظاهر طلبهم حملاً لكلامهم على ظاهره على طريقة مجاراة الخصم في المناظرة"[5]. وكلّ هذه الأساليب

---

[1] المرجع نفسه، ج12، ص51.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 12، ص51.

[3] المرجع نفسه، الجزء 12، ص51.

[4] المرجع نفسه،الجزء 12، ص59.

[5] المرجع نفسه، الجزء12، ص59.

النحوية والدلالية – والتي أخذنا منها القليل فقط نظرا لكثرتها ومقامنا هذا لا يتّسع لها– كانت حاضرة بقوّة للدلالة على صبر وإصرار وتحمّل سيّدنا نوح، وعلى قصور عقول قومه وضعف مداركهم، وتطلبهم الكمال بقوة الأتباع وعزّ القبائل.

فدعوة سيّدنا نوح علموا أنّها تقودهم إلى التخلّي عن الكمال المزعوم لذلك رفضوه وجزموا بأنّه غير جدير بالسّيادة عليهم وجزموا على تكذيبه.

كلّ هذه الرّوابط الحجاجية والأساليب جاءت لتؤكّد أنّ معاناة وصبر الرسول–صلى الله عليه وسّلم– كان تِبعاً للرسل السابقين، فكما كذّبت قريش سيّدنا محمد –صلى الله عليه وسّلم– كذّب قوم نوح رسولهم، وكما عانى رسولنا من التكذيب والسّخرية والظلم والاحتقار الأصحاب لاقى سيّنا نوح نفس ذلك، وزاد أنّ أقرب الناس إليه كانوا من الكافرين زوجه وولده، وما آمن معه إلاّ قليل رغم طول مدّة دعوته، لذلك دعا الله–عزّ وجّل– سيّنا محمد –صلى الله عليه وسّلم– أن يصبر كما صبر آخوه في سبيل الدعوة إلى الله، وكأنّ قصّة دعوة سيّدنا محمد وعاقبته كانت شحنة قوّية لتثبيت فؤاد الرسول ودعمه في دعوته.

وفي طيّ هذه الآيات كانت هناك تسلية لسيّدنا نوح عليه السّلام هو أيضا چ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □چقال ابن الكثير أنّ في هذه الآية " تسلية له عمّا كان منهم إليه وكانت فيها تعزية لنوح –عليه السّلام– في قومه، أنّه لن يؤمن إلاّ من آمن، أي لا يسوأنّك ما جرى فإنّ النصر قريب، فكان وحي الله –عزّ وجّل– دعماً قوّيا لرسله وتثبيتاً لهم، وجزاء لصبرهم.

فهاهو الله –عزّ وجلّ– يُسّلي رسوله نوح " **فلا تبتئس**" "**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**" " **قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات**"، فها هو الخّطاب الرّباني يثبت فؤاد أنبيائه ويؤنس طريقهم ويمهّد نصرهم، ويسّلي نفوسهم فمن كان في حفظ الله ورعايته ماذا خسر؟.

2-3-الفوائد المستخرجة من قصّة نوح:

جاءت قصّة نوح مليئة بالعبر أهمها لطف سيّدنا نوح –عليه السّلام– وشفقته على قومه ونصحه لهم، وما لاقاه من رفض وتحدّ واستهزاء بالدعوة فواجه الأمر بالصّبر والإصرار، وأهمّ فوائد هذه القصّة:

– تسلية سيّدنا نوح–عليه السّلام– وتأييده بقوله چ □ □ □ □ □چ أي لا تحزن على كفر القوم وجحودهم، فإنّني سأنتصر لك ولديني.

– تسلية النّبي –صلى الله عليه وسلم– بتذكيره بقصّة سيّدنا نوح وما قساه مع قومه، وكيف نجّاه الله من القوم الكافرين وجعله وقومه النّاجين بذرة الصّلاح.

– تسلية المسلمين حتى يتّأملوا ويتعضوا بقصّة سيّدنا نوح وكيف نجاه الله من الكافرين، وعن صبره وعزمه، وثباته على الأمر ولو طال حتى يأتي نصر الله، فكانت القصّة مشهدا عظيما لتثبيت البشرية.

3- قصّة سيّدنا ابراهيم- عليه السّلام-

قال الله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ڪ ڪ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[1].

3-1-تفسير الآيات:

جاء في تفسير الطبري لهذه الآيات حول الحوار الذّي دار بين سيّدنا إبراهيم –عليه السّلام وقومه حول من حطّم الأصنام فقال:" قال قوم إبراهيم آلهتهم قد جُنّت، إلاّ الذي ربط به الفأس

[1] سورة الأنبياء، الآيات: 60-70.

إبراهيم، من فعل هذا بآلهتنا، (...) قال الذّي سمعوه يقول چ ى ى ې يچأي سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم،(...) فأتوا بإبراهيم، قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟، فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بها هذا ذلك وكسرها، إن كانت تنطق، أو تعبّر عن نفسها (...) ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنّكم معشر القوم الظالمون(...) وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها"[1]، بعدها جاءت الآية التي انتصر فيها الله – عزّ وجّل– ونبذ عبادة الأصنام و عَيَّرَهم بها، وقد ذكرها الطبري في تفسيره

بقوله:" أفتعبدون أيّها القوم ما لا ينفعكم شيا ولا يضّركم"[2]، وأمّا قوله: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑچقال الطبري:" قُبحا لكم ولآلهتكم التّي تعبدون من دون الله"[3].

وهنا جاء مكر الأقوام التّي تظلم أنبياءها حين تستشعر الخسران والهوان، فكادوا لسيّدنا إبراهيم – عليه السّلام– وأجمعوا على حرقه" قال بعض قوم إبراهيم لبعض حرّقوا إبراهيم بالنار"[4]، ليأتي الرّد الرّباني بقوّة ناصراً لعبده ونبيّه معجزا الكفار" فأمر الله تعالى النار بألاّ تحرق إبراهيم–عليه السّلام– وبأن تكون عليه بردا وسلاما، فكانت و نجّى الله إبراهيم من المصير الذّي أراده الظّالمون"[5].

وعليه إبراهيم الخليل فتى بابل الذّي لم يبلغ العقد العشرين، يتدّبر ويتأمّل في أحوال الكون ويعلم يقينا أنّ هذه الأصنام ما هي إلاّ أحجار لاتسمن ولا تغني من جوع، ويزيد إصراره وتمسّكه بإيمانه، فحطّم الأصنام، فاجتمع القوم واتّفقوا على إحراقه في بنيان ضخم سهروا عليه شهورا، ورموه فيه بالمنجنيق لشّدة اشتعالها، فأي جبروت كان فيه قومه ليرموا فتى في النار المستعرة

[1] الطبري، تفسير الطبري، المجلد5، ص264.

[2] المرجع نفسه، المجلد 5 ص265.

[3] الطبري، تفسير الطبري، ، المجلد5، ص266.

[4] المرجع نفسه، المجلد5، ص266.

[5] أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير ، الجزء الأول، ص 792.

وأيّ ثقة كانت في نفس ذلك الفتى بربّه، نعم هكذا كانت البداياتثقة واستعانة وصبر بالله العزّيز الغفار، ورُمي إبراهيم في النّار، وجاء الوعد الرّباني وكان الخرق لنواميس الكون الساكنة، فالنار التّي تحرق أصبحت بردا وسلاما حرّي بها أن يعبد ربّها.

3-2-الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام:

ظهرت التسلية لنفس الرسول –صلى الله عليه وسّلم– في ابتلاءات الأنبياء والرسل السّابقين في سبيل الدّعوة إلى الله –عزّ وجّل– و مالاقاه سيّدنا إبراهيم من ظلم وأذى وعقاب وحرق بالنار وتكذيب وهو فتى في مقتبل العمر، كلّ هذا يستدعي بثّ الصبر والإصرار والطمأنينة في نفس النّبي –صلى الله عليه وسّلم–وما ظهر في الآيات من الكيد كان ظاهرا في حوارهم قالوا چ ے ے ۓ ۓچ، وقال فيها الطاهر بن عاشور " ويظهر أنّ هذا القول كان مؤامرة سّرية بينهم دون حضرة إبراهيم، وأنّهم دبّروه ليبتغوه به خشية هروبه، لقوله تعالى:چ ۆ و و چ "[1]، وهو تماما ما حدث للرسّول –صلى الله عليه وسّلم– مع قومه في حادثة محاولة قتله وتدّبرهم ذلك ليلا، وما حدث هذا إلاّ بعد أن غلبهم بالحجج، و"فلما غلبهم بالحجّة القاهرة لم يجدوا مخلصا إلاّ بإهلاكه وكذلك المبطل إذا قرعت باطلة حجّة فساده غضب على المحّق، ولم يبق له مفرغ، إلاّ مناصبته والتشّفي منه، كما فعل المشركون من قريش مع رسول الله –صلى الله عليه وسّلم– حين عجزوا عن المعارضة"[2].

وقد ظهر اتّساق التراكيب في الحوار بقوة مثال اعتماد چ چ چوقال فيها الطّاهر بن عاشور:" والقوم وإن علموا أنّ الأصنام لم تكن تتكّلم من قبل إلاّ أنّ إبراهيم أراد أن يقنعهم بأنّ حدثاً عظيماً مثل هذا يوجب أن ينطقوا بتعيين من فعله بهم، وهذا نظير استدلال علماء الكلام على دلالة المعجزة على صدق الرّسول –صلى الله عليه وسّلم– بأنّ الله لا يخرق عادة لتصديق الكاذب، فخلقه خارق العادة عند تحّد الرسول دليل على أن الله أراد تصديقه"[3]. والآية چگ گ

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 17 ، ص 105.

[2] الطاهر بن عاشور، التحوير والتنوير، الجزء 17، ص 105.

[3] المرجع نفسه، الجزء 17، ص 101.

گچ " تفيد تقوي الاتّصاف بانعدام النّطق، وذلك بسبب انعدام آلته وهي الألسن"[1]، وكأنّ سيّدنا إبراهيم أراد أن يوصلهم إلى نتيجة مفادها أنّ الأصنام التّي تّدعون أنّها آلهة حتّى الدّفاع عن نفسها لا تستطيع، فلا يد تبطش ولا لسان يُجيب، فأيّ غفلة أنتم فيها أيّها القوم، چ ڈ ۀ چ " وهي اسم فعل دال على الضّجر، وهو منقول من صورة تنفس المتضّجر لضيق نفسه من الغضب(...) واللام في **(لكم)** لبيان المتأفف بسببه، أي أف لأجلكم وللأصنام التّي تعبدونها من دون الله"[2].

وظهر الانسجام في دلالات التشكيك في چ چ ڃ ڃچ قال ابن عاشور " الخبر مستعمل في معنى التشكيك أي لعلّه فعل كبيرهم"[3]، أمّا التهكّم في قوله چ ڃچ " تهكّما بهم وتعريضاً بأن مالا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير آهل للألوهية"[4] . والتمثيل في قوله چ ک چ أي " نَكَسَهم ناكس، ولمّا لم يكن لذلك النكس فاعل إلاّ أنفسهم بني الفعل للمجهول"[5]. كذلك قال الزمخشري في چ ڈ ۀ چ :"صوت إذّا صُوّت به عُلم أنّ صاحبه متضّجر، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحّق ..." [6].

أيضاً الاستفهام الإنكاري عن عدم تدّبرهم في الأدّلة الواضحة من العقل والحس فقال: چھ ہ ھچ كلّها دلالات أظهرت صبر وثبات وإصرار ومحاولة سيّنا إبراهيم–عليه السّلام– لإنقاذ عقول قومه من الكبر والضّلال، ليُظهر الله لرسوله –صلى الله عليه وسلم– أنّه كما سألك قومك وكذّبوك وقالوا بأنّك ساحر وكاذب هاهو أخوك إبراهيم يرى من الردع والكِبر ما رأيت، وهذا إنّما

---

[1] المرجع نفسه، الجزء17، ص104.

[2] المرجع نفسه، الجزء17، ص 104.

[3] المرجع نفسه، الجزء 17، ص101.

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء17، ص102.

[5] المرجع نفسه، الجزء 17، ص104.

[6] الزمخشري، الكشّاف، المجلد4، ص154.

هي التّسلية لنفس الرّسول –صلى الله عليه وسّلم–، كذلك قصّة سيّدنا إبراهيم– عليه السّلام– تسلية للنّاس أجمعين لتدّل على ما قساه الأنبياء من شّدة الابتلاءات ونُصرة الله.

أمّا قمّة الإعجاز والنصرة فظهرت في قوله –عزّ وجّل–: چۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ وقيل " وأمّا كونها سلاما فهو حقيقة لا محال وذكر (سلاما) بعد ذكر البرد كالاحتراس، لأنّ البرد مؤذٍ بدوامه ربّما إذا اشتد، فعقب ذكره بذكر السّلام لذلك"[1] ، وانقلب سحرهم عليهم وخرج سيّدنا إبراهيم –عليه السّلام– سالما معافى من ألسنة اللّهب معافى، التّي اشتعلت أربعين يوما، وما أعدّوه للعقاب صار معجزة ونصراً وتأييداً.

3-3- الفوائد المستخرجة من القصّة:

قصّة سيّدنا إبراهيم –عليه السّلام– مليئة بالعبر، لتأمّل والتأسي بأصحابها،قال تعالى: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک چ[2]، فبعد الجدال مع قومه تحوّل مباشرة إلى الوسيلة رغم العلم بالعواقب، إلاّ أنّ الهدف كان لفت الانتباه إلى الدعوة ولم يهمه مصير الإحراق فكانت:

- التسلية لنفس سيّدنا إبراهيم –عليه السلام– بجعل النار برداً وسلاما ونصره على القوم الظالمين.
- التسلية لنفس الرّسول– صلى الله عليه وسّلم– بما لاقاه أخوه إبراهيم من ردع وأذيّة.
- تسلية النفس البشّرية لأن الله –عزّ وجّل– يغيّر سير الكون لينصر عباده.

4- قصّة سيّدنا إسماعيل عليه السّلام مع أبيه إبراهيم عليه السّلام

قال الله تعالى: چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[3] .

4-1-تفسير الآيات:

[1] المرجع السابق، الجزء 17، ص106.

[2] سورة الممتحنة، الآية:4.

[3] سورة الصافات، الآيات: 103- 108.

وجاءت الرؤيا لسيّدنا إبراهيم –عليه السّلام– چ ى ې ې ې ې ې ې ۉ ۉچ وجاء في تفسير ابن كثير" وهذا الغلام هو إسماعيل(...) إنّ الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده والأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار(...)، وأعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره، وكان أدب الإجابة من سيّدنا إسماعيل –عليه السّلام– لأبيه چ ې ې ې ې ۉ ۉچأي "امض لما أمرك الله من ذبحي، چې ې ې ې ۉ ۉچ أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله –عزّ وجلّ – چ ٱ ب ب ب ٻ چ وقيل أسلما بمعنى استسلما وانقاداً لأمر الله چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺچ فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن العين(...) وناديناه أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح وذكر السّدي وغيره أنّه أمر السّكين على رقبته فلم تقطع شيئا"[1]. وهاهي ثمر السنين ويُأمر سيّنا إبراهيم – عليه السّلام– بأصعب وأقسى ابتلاء مرّ عليه، وبعد أن أيس من الولد، ولكنّه أمر الله أتى ولا مفرّ منه، انقياد وقبول للأمر، وهو ذبح الولد وكان البّر إجابته، ابتلاء لا يقوى عليه إلاّ خليل الرحمان، فكيف لإنسان عاقل أن يذبح ولده بعد المشيب بيديه، لكّن سيّدنا إبراهيم كان على ثقة من ربّه، واستسلم الاثنان ووضع رأسه على الحجر وأخذ يقطع بقوّة والابن يقول: شدّ يا أبي، أقوى أقوى، والسّكين لا تقطع وأتى النّداء، الفرج يا إبراهيم،فإذا بكبش عظيم ينزل من السّماء ووحي يقول: صدقت الرؤيا وكنت من الصّابرين.

4-2-الأبعاد الحجاجية لقصّة سيّدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل– عليهما السّلام–

قصّة سيّدنا إبراهيم مع سيّدنا إسماعيل– عليهما السّلام– راحة نفسية للمسلمين، إذ تسليم سيّدنا إبراهيم–عليه السلام– بأمر الله بذبح ابنه كفى الأمّة أن تقدّم أبناءها قرابين لله –عزّ وجّل–، وهنا ظهرت التسلية من جانبها الواسع، وهناك تسلية الله–عزّ وجّل– بالفداء العظيم لرسوله الكريم عوض ابنه، وما هي إلاّ نتيجة الصبر والطاعة والثّقة بأمر الله –عزّ وجّل–.

[1] الإمام الحافظ بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2015، المجلد 5، ص316– 317.

والقصّة حملت اتّساقا تركيبيّا رائعاً ظهر في قوّة الألفاظ المستعملة، نجده مثلاً في چ □ □ □ ىچ أي بلغ الولد مع أبيه حركة الحياة، أي يتعلّم الأعمال ومشاق الحياة مع أبيه دلالة على رعاية الأب وطاعة الابن، لتدّل اكثر على المحبّة والثّقة المتبادلة بين الأب وابنه، وبعدها تظهر قوّة البلاء چ □ □ چ، جاء في تفسير ابن عاشور" وإنّما برز هذا الابتلاء في صورة الوحي المنامي إكراماً لإبراهيم عن أن يزعج بالأمر بذبح ولده بوحي اليقظة، لأنّ رؤيا المنام يعقبها تعبيرها، إذ قد تكون مشتملة على رموز خفّية وفي ذلك تأنيس لنفسه لتلّقي هذا التكليف الشّاق عليه وهو ذبح ابنه الوحيد"[1]و چ □ □ □□ چ

وكان فعل الأمر امتثال لأمر الوالد والفعل الثاني امتثال لأمر الله- عزّ وجّل- فكانت إجابة سيّدنا إسماعيل-عليه السّلام- قوّية وواضحة وصريحة، "وعدل عن أن يقال: اذبحني، إلى فعل ما تؤمر به للجمع بين الإذن وتعليله، أي أذنت لك أن تذبحني لأنّ الله أمرك بذلك، ففيه تصديق أبيه وامتثال أمر الله فيه"[2] وصيغة المبالغة چ □ □چ لاتّصافه بالصّبر، جاء في التحرير والتنوير لابن عاشور " في قوله من الصّابرين من المبالغة في اتّصافه بالصّبر ما ليس في الوصف، بصابر لأنّه يفيد أنّه سيجده في عداد الذّين اشتهروا بالصّبر وعرفوا به"[3].

وجاء النداء چپ چ لأنّ نداء الله إياه" ترفيع لشأنه فكان ذلك النّداء جزاء على إحسانه"[4] .

كلّ هذا الاتّساق التركيبي ساعد على انسجام الدّلالة في القصّة وترابط مفهومها وتسلسل أحداثها فمن الرؤية إلى التصديق بها إلى الإخبار إلى الإيضاح إلى النّداء ثم الفداء العظيم، وما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان، ومن أعظم الدلالات في هذه القصّة چٹ ٹ ٹ چقال فيها الطاهر بن عاشور" وأُسند الفداء إلى الله أنّه الآذن به، فهو مجاز عقلي، فإن الله أوحى إلى إبراهيم أن يذبح الكبش فداء عن ذبح ابنه، وإبراهيم هو الفادي بإذن الله، وأنّ ابن إبراهيم المفدى(...)، ووصفه

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء23، ص151.

[2] المرجع نفسه، الجزء23، ص152.

[3] المرجع نفسه، الجزء23، ص152.

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء23، ص154.

بعظيم بمعنى شرف قدر هذا الذّبح، وهو أن الله فدى به ابن رسول وأبقى به من سيكون رسولاً، فعِظمُه بعظم أثره، ولأنّه سخّره الله لإبراهيم في ذلك الوقت وذلك المكان"[1].

فهاهي التسلية تتجّلى في أسمى معانيها رغم قوّة الابتلاء، صدق به نبي الله إبراهيم فكان له أحسن الجزاء، وربّ كريم كان عند ثقة عبده به وفداه بذبح عظيم وأخرج نبيّه من كرب عظيم إلى فرج وأُنس عظيم.

4-3-الفوائد المستخرجة من القصّة:

المتأمّل لقصّة سيّدنا إبراهيم وإسماعيل -عليهما السّلام- يجد فيها روحانية عظيمة، وتنزّه الأب والابن عن مطامع الدنيا، والاستجابة بغير سؤال لأوامر الله، ولو كانت الذبح، فظهرت التسلية:

- تسلية النّبي إبراهيم- عليه السلام- بفداءه بالكبش العظيم بعد تصديقه الرؤيا وشدّ عضده بولده.

- تسلية سيّدنا إسماعيل- عليه السلام- أيضا بالكبش العظيم، بعد أن كان هو قرباناً ليصبح آية للعالمين والذّبيح.

- تسلية النبّي-صلى الله عليه وسلم- والناس أجمعين بأن طاعة الله -عزّ وجلّ- توجب الفرج، وأنّ من ترك شيئا لله عوضّه خير منه في الدنيا والآخرة.

5- قصة سيدنا لوط- عليه السّلام-

قال الله تعالى: چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ[2].

5-1-تفسير الآيات:

[1] المرجع نفسه، الجزء23، ص 156 .

[2] سورة هود، الآيات: 77-82.

جاء في تفسير الطبري: " ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ساءه مجيئهم، وهو فعل من السوء، وضاق بهم ذرعاً(...)، وذلك أنّه لم يكن يعلم أنهم رُسل الله، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيان الفاحشة (...)، وعلم أنّه سيحتاج إلى المُدافعة عن أضيافه، ولذلك قال چ گ گ ں ں چ أي يوم شديد شرّه"[1].

وما هذا كلّه إلاّ لشدّة فسق وفجور قوم سيّدنا لوط، فهم قوم أصابوا فاحشة ما سبقهم إليها أحد – والعياذ بالله– وما أصاب سيّدنا لوط من شدّة وضيق لعلمه بسوء أفعالهم ليحدث ما توقع الرّسول الكريم لوط– عليه السّلام– فقد سمع قومه بمجيء ثلاثة شباب جمالهم يفوق الوصف، فأرادوا أن يراودوهم عن أنفسهم وساء ما يفعلون، " وجاء لوطاً قومه يستحثّون إليه، يرعدون مع سرعة المشي، ممّا بهم من طلب الفاحشة، وقوله چ ہ ہ چ يقول: من قبل مجيئهم إلى لوط، كانوا يأتون الرّجال في أدبارهم، وقوله چ ھ ھ ے چ قال قوم لوط لقومه لمّا جاؤوه يراودونه عن ضيفه: هؤلاء يا قوم بناتي، يعني– نساء أمته– فانكحوهنّ، فهنّ أطهر لكم(...)،چ ۇ ۇ ۆ چ أي اخشوا الله أيّها الناس، واحذروا عقابه ولا تذلوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون"[2].

لكن قوم لوط كانوا غارقين "چ ۆ ۆ چ يا لوط مالنا في بناتك من حّق لأنّهن ليس لنا أزواجا،چ □ □ □ □ چ أي وإنّك يا لوط لتعلم أنّ حاجتنا في غير بناتك(...) قال لوط لقومه، حين أبو إلاّ المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، و أيِس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم چ □ □ □ □ □ □ □چبأنصار تنصرني عليكم، چ □ □ □ □ □ □چأو انظم إلى عشيرة مانعة تمنعني فيكم، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي"[3]، وجاء الفرج على ألسنة ملائكة الجبّار، بحيث قالت للوط " چ □ □ ى ى ي ي □ □ چ أُرسلنا لإهلاكهم، فهوّن عليك الأمر، واخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقيّة من الليل، چ □ □ □ □ □ چ أي إنّه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذابچ □ □ □چ أي عند

[1] الطبري، تفسير الطبري، المجلد 4، ص297.

[2] الطبري، تفسير الطبري، المجلد4، ص297.

[3] المرجع نفسه، المجلد4، ص298.

الصبح نزول العذاب بهم"[1]، بعدها جاء أمر الله في قوم سيّدنا لوط –عليه السلام– عليهم لعنة الله إلى يوم يُبعثون، وفسّرها الطبري بقوله: "چ ٱ ب ب چ قضاؤنا فيهم بالهلاك چ ٻ ٻچأي أعالي قريتهم چپ پ پ پچ وأرسلنا عليها حجارة من طينچٹ ٹ ٹچ فإنّه يقول : معلمّة عند الله، وقوله: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ فإنّه يقول متهدّدا مشركي قريش : وما هذه الحجارة التّي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد ببعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم"[2].

وعليه قرية سدوم من أشّر البقاع في الأرض، ارتكب أهلها فجورا و فواحشاً وذنوبا ما سبقهم إليها أحدٌ من العالمين، والأدهى خبائث تُفعَل جهارا نهاراً، حتّى البهائم لم تفعل ما كانوا يفعلون، مخالفين فطرة الكون وشرع الله، والدّعوة إلى العفّة والطهارة، وجاءهم سيّدنا لوط –عليه السلام– داعيا ناصحا، فكانوا له بالمرصاد وما آمن منهم أحدا، فرأى منهم الويلات وسكرات الشّهوة وغلبتها على بصائرهم، فآوى إلى ركن شديد ولاذ منهم إلى الله، واستعجل لهم العذاب، فأهلكهم الله بأن اجتثّهم من الأرض وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجّيل، فبُعداً للقوم الفاجرين.

5-2- الأبعاد الحجاجية لقصّة سيّدنا لوط –عليه السلام–

في قصّة سيّدنا لوط–عليه السّلام– يظهر الابتلاء العظيم من سوء الفاحشة وعدم إيمان القوم به، والمجادلة بالباطل وسوء العشير، فكان الحوار قاسيا وكان الأمر مقضيّا فالرّسل أرسلوا القضاء الرّباني بعذاب غير مردود نظرا لإسرافهم في الفاحشة والإساءة للرسول الكريم سيّدنا لوط –عليه السلام–، حتى أنّ الرّسول قال في حاله" قال محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة

[1] المرجع نفسه، المجلد 4، ص 299.

[2] المرجع نفسه، المجلد4، ص300.

عن أبي هريرة إنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: رحمة الله على لوط؛ إنّه كان يأوي إلى ركن شديد –يعني الله عزّ وجّل– فما بعث الله من بعده نّبي إلا في ثروة من قومه" [1].

فأيّ ابتلاء وأيّ فاحشة وأيّ قوم عاشر سيّدنا لوط، لذلك كان الله في عون عبده وكان له مؤنسا مطمئنا رأف بحال رسوله وأرسل إليه ملائكته ليردعوا هؤلاء السّفهاء الفجرة الأقوياء، الكفرة الأغبياء.

فكان الله لنبيّه مسلّيا مؤنساً ولعل أبرز بوادر التسلية ظهرت في قوّة الحوار وتناسق التراكيب، فظهر شعور السوء والضيق في نفس سيّدنا لوط– عليه السّلام– (سيء بهم) (ضاق بهم ذرعا) (هذا يوم عصيب) " فحُوّل الإسناد إلى المضاف إليه وجعل المسند إليه تمييزا لأنّ إسناد الضّيق إلى صاحب الذرع أنسب بالمعنى المجازي(...)، والعصيب: الشّديد فيما لا يرضي (...) وأصل هذه المادة يفيد الشّد والضغط، يقال عصب الشيء، إذا لواه، ومنه العصابة"[2].

هذا دليل ابن عاشور على شّدة كرب سيّدنا لوط–عليه السلام–، ولقد ذكر أنّ القرآن الكريم في الآية چ ^ ۓ ﮨچ أنّه لم يذكر الفاحشة المبيّنة، قال الطاهر بن عاشور:" وقد طوى القرآن ذكر الغرض الذّي جاؤوا لأجله مع الإشارة إليه بقولهچ ۀ ہ ^ ۓ ﮨچ فقد صارت لهم دأباً لا يسعون إلا لأجله"[3]، لذلك حقّ عذاب الله فيهم، وجاء أيضا في معرض الآيات قوله: "چ ڭ ۇچ بمعنى الإهانة والمذّلة لنفسه الكريمة"[4]. فتناسق التراكيب في قصّة سيّدنا لوط– عليه السلام– حمل دلالات منسجمة ظهرت في الإنكار والتوبيخ واليأس والاعتصام بحبل الله والرّكون إلى الله، والجزع ونفاذ الحيلة ومجيء نصر الله على سنة الله مع عباده في

---

[1] أبي الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق د مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، العزيزية مكة المكرّمة ، 1988، الطبعة 3، ص233.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 12، ص 124.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء12، ص126.

[4] المرجع نفسه، الجزء 12، ص128.

قوله تعالى: چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ[1]. فأنكر سيّنا لوط –عليه السلام– تصرّف قومه وقال: چ ڭ ۇ ۇ ۆۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ أي لا تجعلوني مخزيا إذ يلحقهم أذاكم " لأنّ الضيافة جوار عند ربّ المنزل، فإذا لحقت الضيف إهانة كانت عاراً على ربّ المنزل"[2]، والتوبيخ في استفهامه چ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ" لأنّ إهانة الضيف سبّة لا يفعلها إلاّ أهل السّفاهة"[3].

والاعتصام بحبل الله في قوله:چ □ □ □ □ □ □ چ وقد بلغ به اليأس هنا مبلغه، والمعنى قال الطاهر بن عاشور:" ليت لي قوّة أدفعكم بها، ويريد بذلك قوّة أنصار لأنّه كان غريباً بينهم"[4]. وبعدها ابتداء الملائكة خطابهم لأنّ سيّدنا لوط –عليه السلام– لم يكن يعلم أصلهم وما زال على اعتقاده بأنّهم ضيوف مارين " ابتدأ الملائكة خطابهم لوطا –عليه السلام– بالتعريف بأنفسهم لتعجيل الطمأنينة إلى نفسه، لأنّه إذا علم أنّهم ملائكة علم أنهم ما نزلوا إلاّ لإظهار الحق(...)، ثمّ ألحقوا البشارة بقولهم چ ى □ □ چوجيء بحرف تأكيد النفي للدلالة على أنّهم خاطبوه بما يزيل الشّك من نفسه"[5].

وتمام التسلية والطمأنينة والأنس يظهر في هذه الآية، وكأنّهم بقولهم:چ ى ى ى □ □چ وواقع الحال بما أنّهم رسل فالبديهي أنّهم محصّنون، فالخطاب إذن كان موجّها إلى سيّدنا لوط – عليه السلام– بمعنى نحن لن يصلوا إلينا؛ وما قصدوه أننّا هنا لحمايتك وإبعاد الأذى عنك، وهنا شدّة الأنس والطمأنينة التّي أصابت سيّدنا لوط لأنّه ضمان لسلامته في الموقف الحاصل ومستقبله كلّه، وذكر بعدها عذاب أهل القرية فانقلبت القرية انقلاب خُسفٍ حتى صار عالي البيوت سافلها، وما قول الله : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ في آخر القصة إلاّ تهديد ووعيد لكفار قريش بالهلاك على ما يفعلونه من أذّية الرسول– صلى الله عليه وسلم–، وما هي إلاّ تسلية وأنس

[1] سورة يوسف، الآية:110.

[2] المرجع السابق، الجزء12، ص128.

[3] المرجع نفسه، الجزء12، ص129.

[4] المرجع نفسه، الجزء 12، ص130.

[5] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء12، ص 131.

لنفس رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أن اصبر يا محمد وأنّ ما تمرّ به يعلمه الله، وأنّ الله قويّ على المعتدين، حيث فسّرها الطبري قائلاً: " يقول تعالى ذكره متهدّدا مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها إن لم يتوبوا من شركهم"[1].

5-3-الفوائد المستخرجة من القصّة:

قصّة سيّدنا لوط – عليه السلام– غير قصص الأنبياء، ففيها واجه سيّدنا لوط– عليه السلام– أقسى أنواع المعاصي وأشّرها، وما زاد الصعوبة أن لم يؤمن به أحد من قومه، فكانت:

-التسلية لسيّدنا لوط– عليه السّلام– لشّدة غيظه على قومه وقبيح فعلهم، بحيث أواه إلى ركن شديد، وأعدّ الله له القوة بأن أرسل له ملائكته ليخفّفوا عنه المصائب وردّ الظلم.

-تسلية الرسول– صلى الله عليه وسلم– والمسلمين بأنّ نصر الله سنّة ثابتة، وأنّ المسلم المتوّكل على الله–عزّ وجّل– لو كانت الدنيا كلّها وثقته في كفّة لرجحت كفّة الثقة والتّوكل، وكفى بالله حسيباً، وأنّ الإيواء لابدّ أن يكون لركن الله.

6- قصّة سيّدنا يوسف –عليه السّلام– وسيّدنا يعقوب –عليه السّلام–

ولأنّ سورة سيّنا قصّت قصّته كاملة، ولم تُذكر غيرها ارتأينا أن يكون تحليلها مغايّرا لأنّها حملت بداية حياة سيّدنا يوسف وطفولته وأهله وإخوته وكلّ ابتلاءاته، فهي بيان لما لقاه في مشاهد حياته وما في ذلك من عبر ومقاصد، وقد ظهرت في سورة يوسف التسلية بقوّة للنّبي – صلى الله عليه وسّلم– لما لاقاه سيّدنا يعقوب ويوسف –عليهما السّلام–، وقد ذكر هذا الطّاهر بن عاشور فقال" وتسلية النّبي –صلى الله عليه وسّلم– بما لقيه يعقوب ويوسف– عليهما السّلام– من آلهم من الأذى، وقد لقي النّبي –صلى الله عليه وسّلم– من آله أشّد ما لقيه من بعداء كفّار قومه، مثل عمّه أبي لهب، والنّضر بن الحارث بن عبد المطلب(...)، فإن وقع أذى الأقارب في النفوس أشّد من وقع أذى البُعداء، كما قال طرفة:

[1] الطبري، تفسير الطبري، المجلد4، ص 300.

وظلم ذوي القربى أشّد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهنّد"[1]

وفيها من العبر ما فيها ولعلّ أعظمها صبر الأنبياء على الابتلاء، ولقد كان أسلوب السورة خاصّا، بحيث اعتبرت " من أساليب إعجاز القرآن وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصّة أهل مكّة يعجبون ممّا يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم"[2].

ولو اعتمدنا في استخراج آيات التسلية من القصص القرآني وحدها لكفتنا لعظم ما فيها من أشّد أنواع الابتلاء وأعظم أنواع الفرج، ولكننّا أردنا البسط لما فيه إثراء البحث.

6-1-الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصّة سيّدنا يوسف ويعقوب –عليهما السّلام-:

سورة يوسف هي قطعة ذات موضوع واحد، تحكي وتوحي إلى ذلك الفتى الحسن الشكل الذّي اختبر هو ووالده أشّد أنواع الابتلاءات وأصنافها، من محنة كيد الإخوة ومحنة كيد الإخوة ومحنة الجّب والخوف والهلع والوحدة فيه، ومحنة الاسترقاق وهو يباع ويشترى كالسّلع من يد إلى يد ، من غير حول منه ولا قوّة فلا أب يدافع ولا أهل يراعون، ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة والإغراء والشهوة والفتنة، ومحنة السجن بعد العيش الرغيد في قصر العزيز، ومحنة الرّخاء والسلطان والتّحكم في أقوات أهل مصر في السنوات السبع العجاف، ومحنة لقاء الإخوة وهم يتسّولون لقمة العيش بعد أن أصاب أرضهم القحط، ومحنة الشّوق إلى أخيه وأبيه وحرقه قلبه على لقائهم، كلّها محن كابدها فتى اسمه يوسف –عليه السّلام–يقول السيّد قطب في لفتة رائعة:" فلا عجب أن تكون هذه السّورة، بما احتوته من قصّة ذلك النّبي الكريم، ومن التعقيبات عليها بعد ذلك، ممّا يتنزّل على رسول الله –صلى الله عليه وسّلم– والجماعة المسلمة معه في مكة، في هذه الفترة بالذات، تسلية وتسرية، وتطمينا كذلك وتثبيتا للمطاردين المغتربين المتوحّشين"[3].

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء12، ص198.

[2] المرجع نفسه، الجزء 12، ص199.

[3] السيّد قطب، في ضلال القرآن، ص2268.

وما ميّز قصّة سيّدنا يوسف أنّها جاءت ذات طابع منفرد، فكانت بطولها تَفَرُّد القصّة على عكس باقي القصص القرآني التّي ذكرنا من قبل أنّه يرد حلقات، ويرد مختصرا.

وتجّلت مظاهر التسلية في قوّة التراكيب ووضوح دلالاتها، ومن أمثلة هذا ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭽ ﭼ ﯾ ﯿ ﰀﭼ، وهذا يدّل على "صبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف –عليهما السّلام– على البلوى، وكيف تكون لهم العاقبة"[1]، وبعدها بداية طريق محن سيّنا يوسف وأبيه– عليهما الصلاة والسّلام– فكانت الرؤيا بشرى لقلب الفتى الصّغير وخوفا للوالد الحنون وحسداً في قلوب الإخوة، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ وتأتي بعدها محنة الحسد والغيرة والكره والكيد ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ وتأتي المحنة الثالثة وكأنّ إخوة يوسف أعادوا كره قابيل في سيرتهم ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ فأرادوا الفراق بين الأب وابنه فراقاً أبدياً، وتنازعوا أمرهم بينهم ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ وكان هذا قرار نادي السوء الذّي كانوا فيه مجتمعين، وفعلوا فعلتهم واتّهمت العصبة الذئب وهو منهم بريء، ويأس سيّدنا يعقوب ﭽ ﯾ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ يقول الطاهر بن عاشور في تفويض سيّدنا يعقوب "وإنّما فوض يعقوب– عليه السّلام– الأمر إلى الله ولم يسع للكشف عن مصير يوسف –عليه السّلام–لأنّه علم تعذر ذلك عليه لكبر سنّه، ولأنّه لا عضد له يستعين به على أبنائه أولئك فأيِسَ منهم"[2]، وينتقل سيّدنا يوسف إلى محنة البيع والاسترقاق –صلوات الله عليه– ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ ويرحل سيّدنا يوسف – عليه السّلام– إلى وطن غير كنعان، ويُباع ويصبح عبدا مملوكا، لكن العبرة كانت أنّ الإخوة الأقارب باعوه بثمن بخس للتّخلص منه، والغرباء اشتروه ليكرموا مثواه ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ وبلغ أشدّه وابتلاءه ربّه بالتّي راودته في بيتها ودعته إلى الفاحشة لولا ثبات يوسف وعفّته ووفاءه لسيّده وكرمه خُلُقه. وما أصاب هذا سيّدنا يوسف إلاّ لأنّه رزق الجمال السّاحر،

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء12، ص199.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 12، ص240.

وخُيِّر بين الوقوع في الفاحشة وبين السجن فاختار العفيف السجن، واستجاب له ربّه وصرف عنه كيد النسوة، ودخل سيّدنا يوسف السجن، وكان يحمل معه تأويل الرؤى، واستغلّ السّجن لتفسير الرؤى والدعوة إلى توحيد الله – عزّ وجّل-. وهذه هي عزيمة الأنبياء يُخلقون من وسط المحن بشائراً، ولبث سيّدنا يوسف بضع سنين في السجن ﭽ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﭼويأتي الفرج ويرى ملك البلاد رؤيا لا يقدر لها إلاّ يوسف وتكون سبب نجاته السجن تفسير رؤيا، ليكسب بعدها ودّ الملك، ويعرض عليه تبرئته من كيد النساء الذّي أصابه، وكانت البراءة ﭽ ۋ ې ې ې ې □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ □ ﭼومع البراءة تمكين على خزان الأرض ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ﭼ وتوالت السنون وجاء اللقاء الموعود بإخوة يوسف، فأوفى لهم الكيل وطالبهم بالعودة مع أخيه

ﭽ ې ې □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﭼوالتقى إخوة البطن الواحدة ودعاه إلى عدم الحزن والبؤس على كيد باقي الإخوة، وأجاز الله لسيّدنا يوسف أن يكيد ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ﭼورجعوا إلى أبيهم وهم يتأسفون لفقدهم أخاهم الثاني ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ وحزن سيّدنا يعقوب –عليه السّلام– حزنا شديدا لفراق ولده الثانيﭽ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ ى ى ې ې □ □ □ □ □ □ﭼوكأنّما سيدنا يعقوب يسّلي نفسه ويصبرها ويؤنسها بالعودة إلى الله عزّ وجل ودعا أولاده إلى المبادرة للبحث وتحسس سيّدنا يوسف وأخيه ويكشف سيّدنا الأمر بعد عودتهم ويفضح السّر و الإهانة والظلم الذّي عاشه بسببهم في حوار متناسق مليء بالثّبات والصبر والتقوى، ويختتم المشهد العظيم برجوع البصر لسيّدنا يعقوب والذّهاب إلى مصر وتحقق

الرؤيا وسجود الأهل لسيّدنا يوسف وتأتي الكرامة في أبهى مواقفها، و يعترف الأخوة بذنوبهم چ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ چيقول الطاهر بن عاشور " وهذه الجملة استخلاص لمواضع العبرة من القصّة وفيها منّة على النّبي –صلى الله عليه وسلم– وتعريض للمشركين بتنبيههم لإعجاز القرآن الكريم من الجانب العلمي، فإنّ صدور ذلك من النّبي– صلى الله عليه وسلم– الأميّ آية كبرى على أنّه وحي من الله تعالى ولذلك عقب بقوله چ □ □ □ □ □ □ □ چ"[1].

فكانت قوّة التراكيب ووضوح الدلالة في كلّ السورة مساعداً على تجّلي مظاهر الحزن والألم والمكر والخداع والمراودة والصبر والثّبات والتوكل على الله ، وكانت الحوارات مبنية على صورة واقعية ومشاهد حقيقية وهذا ما نجده في القصص القرآني فقط، وبهذا تكون مظاهر التسلية ظاهرة بقوّة فسرد المحن التي أصابت فتى كنعان يوسف –عليه السّلام– وكيف واجهها كفيلة ببّث روح الصبر والقدرة والأنس والثّبات في فؤاد سيّدنا محمد –صلى الله عليه وسّلم.

6-2-الفوائد المستخرجة من قصّة سيّدنا يوسف-عليه السّلام-:

القصة ترينا حُسن عاقبة الصّبر الجميل چ ڈ ژ ژ چ فأتت:

– التسلية لتثبّت فؤاد النبّي–صلى الله عليه وسّلم– فهي رسالة له بأنّ عاقبة صبره ستكون لا محالة كعاقبة سيّدنا يوسف–عليه السّلام–.

– تسلية سيّدنا يوسف–عليه السلام– بنصره بعد ما لاقاه من كيد الإخوة وكيد امرأة العزيز وكيد الكهنة ومحنة السّجن، فكان النّصر بأن جعله عزيز مصر وإرجاع أهله وتحقق رؤياه.

– تسلية سيّدنا يعقوب بعدما قاساه من فقدان الولد، فلا استعجال ببلوغ الغاية، والظّفر بالمطلوب لأنّ الأمر كلّه بيد الله، وكلّ ما كان عليه فعله هو الثّقة بأنّ العاقبة للمتّقين.

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء13، ص61.

- تسلية نفوس المسلمين بأنّ العاقبة لا يُشترط أن تكون عاجلة، بل هناك عاقبة آجلة تكون خيرا كعاقبة سيّدنا يوسف–عليه السّلام–.

7– قصّة سيّدنا أيوب –عليه السّلام–

قال الله تعالى:ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ
ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ.[1]

7–1–تفسير الآيات:

جاء في أيسر التفاسير " يذكر الله تعالى ما أصاب عبده أيوب –عليه السّلام– من البلاء في ماله وولده وجسده، ولبث في ذلك البلاء مدّة طويلة فنادى ربّه: يا رب لقد مسّني الضرّ فارحمني، و افض عليّ من جودك ورحمتك ما يسعفني ويدفع الضرّ عنّي، وأنت أرحم الراحمين"[2].

وقال الطبري في تفسير هذه القصّة الموجزة " يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد –صلى الله عليه وسّلم– واذكر أيوب يا محمد إذ نادى ربّه وقد مسّه الضرّ والبلاء(...) فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهد، وكان الضرّ الذّي أصابه، والبلاء الذّي نزل به امتحانا من الله له، واختبارا (...) وتذكرة للعابدين ربّهم، فعلنا ذلك ليعتبروا به، وليعلموا أنّ الله يبتلي أولياؤه ومن أحب من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله"[3].

وعليه سيّدنا أيوب –عليه الصلاة والسّلام– إمام الصابرين، أنعم الله عليه بالخيرات طوال خمسة عقود، فكان عزيزا في قومه، فأعطاه الله أراضي شاسعة ورزقا وفيرا، ومئات العبيد وزوجة صالحة وقوّة في البدن وأولاد كثر صالحون.

---

[1] سورة الأنبياء، الآيات: 83–84

[2] أيسر محمود حومد، أيسر التفاسير، الجزء1، ص 795.

[3] الطبري، تفسير الطبري،المجلد5، ص 273.

فكان صاحب الاستقرار المادي والاجتماعي والنفسي ويشاء الله امتحان سيّدنا أيوب- عليه السلام- فسُلب رزقه وبارت الأراضي ومات الأولاد واعتق العبيد ونفقت المواشي، وما زاد عليه شلل في البدن وسقم، فأيّ ابتلاء وأيّ صبر كان من سيّدنا أيوب- عليه السّلام-.

7-2-الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصة سيّدنا أيوب -عليه السّلام-:

نعم كانت قصّة موجزة، لكنّها كانت من أروع قصص الابتلاء، فعرضت لنا دعاء سيّدنا أيوب -عليه السّلام- واستجابة الله له، لأنّ السيّاق إنّما هو سياق رحمة الله بأوليائه " سواء كان الابتلاء بتكذيب قومهم لهم وإيذائهم كما في قصص إبراهيم ولوط ونوح أو بالنعمة في قصّة داود وسليمان، أو بالضّر كما في حال سيّدا أيوب"[1].

فكان أسلوب سيّنا أيوب- عليه السلام- متأدّبا، فلم يبادر بالدعاء لتغيير الحال والنّجاة من الهم والمرض، وإنّما شكا ووصف له حاله فقط لاغير، لأنّه يعلم في قرارة نفسه أنّ الله به رحيم وهو مطمئن لفرج أمره ورفع بلاءه، وهذه حال كلّ الأنبياء وثقتهم بالله -عزّ وجّل-، ولمّا كانت الثقة وكان الأدب كانت الاستجابة.

وقد ظهر الأدب وقوة الابتلاء والصبر والاستجابة في القصة بشكل متناسق في تركيبه ومنسجم في دلالته ، فتوجّه سيّدنا أيوب-عليه السلام- بخطابه لله -عزّ وجّل-

چ ٹ ٹ ٹ چ قال الطاهر بن عاشور: " المسّ: الإصابة الخفيفة، والتعبير بع حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله، إذ جعل ما حلّ به من الضّر كالمس الخفيف"[2].

بعدها جاء أسلوب التعريض چ ٹ ٹ ٹ چ وهنا " عرض بطلب كشف الضّر عنه بدون سؤال فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له"[3]. ولمّا كان الدعاء تعريضا " فرع إليه چ ڤ ڤ ڤ

[1] السيّد قطب، في ضلال القرآن، ص2779.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، ص126.

[3] المرجع نفسه، الجزء17، ص127.

ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ چوالسين والتاء للمبالغة في الإجابة، أي استجبنا دعوته العُرضية بإثر كلامه وكشفنا ما به من إشارة إلى سرعة كشف الضّر عنه"[1].

وقد جاء بقوله چ ﭭ ﭮ ﭯ چمقصود من الابهام، وقد فسّر بمن البيانية لقصد تهويل ذلك الضّر لكثرة أنواعه وهنا تظهر التسلية للرسول الكريم، وكأنّ لسان الحال يقول يا محمد انظر عبدنا أيوب إنّه كان صابرا، ذاق كلّ أنواع الابتلاء لكننا وجدناه صابرا، وكما رحمت أيوب –عليه السلام– فإنّ رحمتي ستمسّك وجميع عبادي الداعين.

7-3-الفوائد المستخرجة من القصّة:

من أعظم القصص التّي تحمل التسلية والتثبيت هي قصّة صبر سيّدنا أيوب –عليه السلام–، ففيها:

– تسلية الله –عزّ وجّل– لنبيّه أيوب –عليه السّلام– بأنّ الابتلاء لا يعني بالضرورة هوان المُبتلى، بل إنّ الابتلاء بداية نوال الحسنات وتكفير السّيئات.

– تسلية النّبي –صلى الله عليه وسلم– بالفرج القريب ونيل الأجر العظيم بعد الابتلاءات التّي واجهها في عام الحزن، من موت الزّوج والعمّ و الطرد من مكّة.

– تسلية المسلمين چ□ □ □ □ □ □چ فجزاء صبر المؤمن المُبتلى حظان: قرب من الله ونيل الأجر العظيم.

8- قصّة سيّدنا يونس –عليه السلام–

قال الله تعالى:چ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے چ[2].

8-1-تفسير الآيات:

[1] المرجع نفسه، الجزء 17، ص127.

[2] سورة الأنبياء ، الآية: 87-88 .

جاء في قصص الأنبياء ذكر قصة سيّدنا يونس حيث أنّ " بعث يونس –عليه السلام إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله عزّ وجل، فكذّبوه وتمردّوا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث، فلما خرج من بين ظهرانيهم، وتحقّقوا نزول العذاب، قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة(...) فكشف الله عنهم العذاب"[1]. فقد قال الطبري "يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد ذا النون (...) أي يونس بن متّى، صاحب الحوت(...) حين ظنّ مغاضبا لقومه (...)چ گ گ گ گ چفظنّ يونس أن لن نحبسه ونضيّق عليه، عقوبة له على مغاضبة ربّه، بتأويل الكلمة، لأنّه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر، وقد اختاره لنبوّته"[2].

وجاء في أيسر التفاسير" فخرج يونس من بينهم مغاضبا لهم، وأنذرهم بأنّ العذاب واقع بعد ثلاثة أيام(...)، وكان يعتقد أنّ الله لن يضيّق عليه في بطن الحوت، أو أنّه لن يقدر عليه أن يكون في بطن الحوت، فكان في بطن الحوت في أعماق ظلمة البحر"[3]. أمّا قوله چگ گ گچ فقد اختلف أهل التأويل فيها بحسب رأي الطبري " فقال بعضهم ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوا، وآخرون أن نادى في ظلمة جوف الحوت في جوف حوت آخر في البحر، قالوا: فذلك هو الظّلمات"[4].

وقولهچ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀچ يقول الطبري:" فنادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه، تائبا من خطيئته، چه ەچ أي استجبنا ليونس دعاءه إيّانا. إذ دعانا في بطن الحوت ونجّيناه من الغم الذّي كان فيه بحبسنا إيّاه في بطن الحوت وغمّه بخطيئته وذنبه، وكما أنجينا يونس من الكرب إذا دعانا فإنّنا كذلك ننّجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا"[5].

---

[1] ابن كثير، قصص الأنبياء، ص333–334 .

[2] الطبري، تفسير الطبري، المجلد5، ص247.

[3] أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، الجزء الأول، ص796.

[4] المرجع السابق المجلد5، ص276 .

[5] الطبري، تفسير الطبري، المجلد5، ص277.

8-2-الأبعاد الحجاجية لقصّة سيّدنا يونس -عليه السلام-:

من القصص القرآنية التي يظهر فيها اللجوء والالتجاء إلى الله -عزّ وجل- قصّة سيّدنا يونس -عليه السلام- لما فيها من دعاء وندم وجزع واستجابة من الله -عزّ وجلّ- خاصة وأنّ سيدنا يونس -عليه السلام- لم يصبر على تكاليف الرسالة، وضاق ذرعاً بفرار قومه من الدعوة، واشتد غضبه وهذا كان أمرا مخصوصا به، فلم نره في باق الأنبياء ومشاهد دعواهم، لكنّ العناية الرّبانية طالت سيّدنا يونس وتداركته، فأوقعه الله في ضيق وظلمة بطن الحوت، ولولا توبته وعودته واعترافه بظلم نفسه ودعوته، لمّا فرّج ضيقته، وكنّ الله أراد أن يثبت في نفوس الأنبياء من بعده تسلية خاصة أنّه حتى وإن تحاملت عليكم الظّلوم، وأغلقت في أوجهكم الأبواب عودوا إليّ واطمئنوا بالدعاء وأثبتوا بالصبر على الابتلاء، ومن ضاق بدعوتي وتدارك نفسه فإنّي غفور تواب مجيب الدعاء، وما دعا سيّدنا يونس -عليه السّلام- في بطن الحوت إلاّ دليل على ذلك، حتّى أنّه بقي الدعاء الذّي يُلهم به كلّ لسان وقلب مظلوم إلى يوم يبعثون، وكان سرد المشهد في القرآن الكريم قوّيا ومتناسقا، تركيبا منسجما بحيث ظهرت الدعوة ونفور القوم والغضب والنداء في الظّلمات والاستجابة في آن واحد، وكأنّها فترة زمنية لم يفصل بينها إلاّ ثوانٍ فكانت "الفاء" ثانية تفصل بين المشاهد، وكانت چ ڻ ڻ ڻ ۀچبحسب قول الطاهر ابن عاشور" مبالغة في اعترافه بظلم نفسه، فأسند إليه فعل الكون الدّال على رسوخ الوصف"[1]. چ ہ ہچيقول فيها أيضا" مبالغة في الإجابة، وهي إجابة توبته ممّا فرّط منه، والإنجاء وقع حين الاستجابة، إذ الصحيح أنّه ما بقي في بطن الحوت إلاّ ساعات قليلة"[2].

أمّا الآية التي بعدها جاءت توكيدا على الإجابة للدعاء وأنّ الله مع العباد في أيّ زمان ومكان، يقول الطاهر بن عاشور:"چ ھ ھ ےچتذييل، والإشارة بكذلك إلى الإنجاء الذّي أنجي به يونس، أي مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين من غموم يحسب من يقع فيها أنّ نجاته عسيرة، وفي هذا

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء17، ص132.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء17، ص133.

تعريض للمشركين من العرب بأنّ الله منجي المؤمنين من الغمّ والنُكر الذّي يلاقونه من سوء معاملة المشركين إيّاهم في بلادهم"[1]. إذن هي رسالة ربّانية خالصة لكلّ ضائقة عليهم نفوسهم أو أغرقتهم ذنوبهم، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ماداموا في ظلماتهم يذكرون الله ويسبّحونه.

8-3-الفوائد المستخرجة من القصّة:

فيها عبر ومواعظ كثيرة، بحيث ظهرت فيها:

- التسلية للنّبي-صلى الله عليه وسلم- بضرورة الصبر للدعاة لدين الله، وبأنّ العمل الصالح رصيد نافع للمؤمنين، وأنّ نصر الله سنّة قائمة.
- التسلية للمسلمين عبر سائر الأجيال بوجوب العمل الصالح، وبأنّ الأعمال الصالحة والدعاء منجاة للمسلم من الشدائد، ويسلّيهم بالإسراع بالتوبة ليكون من الفرج أقرب.

9- قصّة سيّدنا موسى –عليه السّلام-

هاهي قصّة كليم الله تأتي على مسامعنا، قصّة ذلك الصّبي الذّي نشأ وترعرع في بيت عدّوه، الذّي كان شديد الحرص أن لا يولد، يقول الله –عزّ وجّل-: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ
ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯿ ﭼ[2].

وبعدها جاءت آيات اللقاء بين موسى وسحرة فرعون، قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ
ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ
ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[3].

[1] المرجع نفسه، الجزء17، ص133.

[2] سورة طه، الآيات: 41-47.

[3] سورة طه، الآيات: 65-70.

لتأتي آيات النجاة من بطش فرعون وجنوده، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[1].

هي أيات من الذّكر الحكيم، جاءت تحكي لنا أروع قصص الأنبياء، قصة الرّضيع الذّي شبّ في بيت عدّوه، قال السيد قطب: " تحت عيني فرعون –عدّوك وعدّوي– وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع(...)، لكن عينه لا تمتد إليك"[2]، وجاء في تفسير الطبري:"

ﭽ ﮒ ﮓﭼ أنعمت عليك يا موسى بهذه النعم اجتباء مني لك، واختياراً لرسالتي والبلاغ عنّي(...)، فاذهبا أنت وأخوك هارون فأبلغاه رسالتي، ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما(...)،ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ فإنّ موسى وهارون قالا : ربّنا إنّنا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا، أن يعجّل علينا العقوبة، وجاء المدد والدّعم الرّباني ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ يقول تعالى ذكره: قال الله تعالى لموسى وهارون لا تخافا فرعون إنّني معكما، أُعينكما عليه، وأُبصر كما وأسمع ما يجري بينكما وبينه (...)، لا يخفي عليّ من ذلك شيء(...) "[3] .

وكان فرعون مستبّدا طاغيا قد استعبد بني إسرائيل وقهرهم أيّما قهر، فأراد الله نجاتهم على يد سيّدنا موسى –عليه السّلام–.

وجاء موعد الزّينة والتقى سيّدنا موسى –عليه السلام– مع السّحرة، " فألقو ما معهم من الحبال والعصّي، فإذا حبالهم تسعى(...)، فأوجس في نفسه خوفا فوجده(...)، فقلنا لموسى لا تخف إنّك الأعلى على هؤلاء السّحرة والقاهر لهم، وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصّيهم التي سحروها حتّى خُيّل إليك أنّها تسعى(...)، فلا يظفر الساحر بسحره بما طلب أينما كان، وألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا، وألقى السّحرة ساجدين، قالوا آمنا بربّ هارون وموسى"[4]، ويتيه

[1] سورة طه، الآية: 77-78.
[2] السيد قطب، في ضلال القرآن، ص2712.
[3] الطبري، تفسير الطبري، المجلد5، ص197.
[4] المرجع نفسه، المجلد5، ص 206.

الطاغية بعقله من روع ما رأى في مشهد كان ربّ العباد عزيزه، فذُّل الذي ظّن نفسه لا يُقهر، وألقى سحرته سُجّداً لربّ موسى على عينيه، فأيّ قهر يصيب، وأيّ عزيمة تبقى، وأيّ استصغار أصبح فيه، ويكيد فرعون ووزيره لكنّ ربّ موسى كان لهما بالمرصاد، ويأتي المشهد الأخير حين يفلق الرحمان البحر فيصبح كالطود العظيم، قال تعالى:چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ چ يقول الطبري في إبداع هذا المشهد العظيم الذّي تجفل له الأبصار:" اسري ليلاً بعبادي من بني إسرائيل، واتّخذ لهم في البحر طريقاً يابّسا ، ولا تخف من فرعون فإنّا سنغرقه"[1].

9-1-الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصّة سيّدنا موسى -عليه السلام-

تعدّ قصّة سيّدنا موسى -عليه السّلام- مقابلة عجيبة في تصوير المشهد، مقابلة جبّارة بين الرّضيع وسيّد مصر ومستعبّدُ بني إسرائيل، فما الذّي جمع بين القسوة والخشونة مع البراءة واللّطف والرحمة إلاّ تدبير الله، وكأنّ الله أراد أن يكسر كبرياء فرعون المزّيف، فأخرج له من عقر داره مهلكه، فكان النّصر.

والقّصة عبارة عن خطابات متناسقة ومنسجمة ، فظهرت معها قوّة الألفاظ الموضّحة للدلالات العميقة، فكانت البداية مع الخطاب الرّباني لنبيّه داعياً إيّاه إلى تبليغ الرّسالة ودعوة فرعون لعلّه يهتدي أو يلين (اذهب) أو (اذهبا) يراد بها بداية الطريق والرحلة، وبين الرحلة الأولى والثاني فارق زمني لكن " السّياق القرآني يطوي الزّمان والمكان"[2].

لكن الفطرة البشرية غلبت على الأخوين، وكان الخوف أوّله(إنّنا نخاف)، يقول الطاهر بن عاشور:" إنّ غالب التفكير في العواقب والموانع يكون عند العزم على الفعل والأخذ في التهيّؤ له، ولذلك أعيد أمرهما بقوله تعالى: چ ٻ چ "[3]. لكنّ الله ثبّت فؤاد أنبيائه وطمأنهما (لا تخافا) و (إنني معكما) وهذا " تعليل للنهي على الخوف الذّي هو معنى النفي، والمعيّة معية حفظ(...)،

[1] المرجع نفسه، المجلد5، ص 209.

[2] السيد قطب، في ضلال القرآن، ص2714.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 16، ص229.

وأنزل فعلا (أسمع وأرى) منزلة اللازمين، إذ لا غرض لبيان مفعولهما، بل المقصود: إنّي لا يخفى عليّ شيء، وفرع عليه إعادة الأمر بالذهاب إلى فرعون"[1].

أمّ المشهد الثاني كان اللقاء العظيم بين سيّدنا موسى- عليه السلام- وسحرة فرعون ومحاولة بثّ الرعب في قلب سيّدنا موسى -عليه السلام-، قال الطاهر بن عاشور: " والمفاجأة المستفادة من (إذا) دلت على أنّهم أعدّوها للإلقاء وكانوا يخشون أن بمر زمان تزول فيه خاصّيتها*، فلذلك أسرعوا بإلقائها، وفعلاً وجد في نفس سيّدنا موسى خيفة دون إظهارها، ليأتي التأكيد الثاني على نصرة الله والوقوف إلى جانب رسله چ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ چ فجاءت المؤكّدات على تتابع بحرف التوكيد وضمير الفصل وبالتعريف في (الأعلى) لتثبيت فؤاده وتقوية عزيمته"[2].

وجاء بعدها قوله (لا يفلح)، (كيد ساحر) أي لا نجاح للسّاحر وأنّ عمله باطل، خاصة إذا كان في خضّم مواجهة إنسان صالح ثابت قوّي الدين والمبادئ، وما زاد قوّة المشهد ونصرة لسيّدنا موسى – عليه السلام- چ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چوالإلقاء هو" الطرح على الأرض، وأسند الفعل إلى المجهول لأنّهم لا ملقي لهم إلاّ أنفسهم (...)، فكان سجودهم إعلانا باعترافهم أنّ موسى مرسل من الله"[3]. وهذا ما زلزل عرش فرعون وكسر شوكته، لأنّ لإبقاء موسى كان المفاجأة الكبرى، ووقع المفاجأة في نفس فرعون كانت الضربة الأولى، ليأتي المشهد الثاني وهو سجود السحرة لتكون الضربة القاضية التي تقصم ظهره، وكأنّ الله قد دبّر لنبّيه عظمة هذا المشهد، وعليه فإنّ بداية الأمور لا تعني بالضرورة نهايتها، فأوّل المشهد كان فرعون سيّده،

---

[1] المرجع نفسه، الجزء16، ص229.

* خاصيتها: وهذا التخّييل هو أثر عقاقير يُشرِبونها تلك الحبال والعصّي، فإذا لاقت شعاع الشمس اضطربت تلك العقاقير فتحرّكت الحبال والعصّي، ويقال أنهم وضعوا فيها طلاء الزئبق، ونفس الرسول لا تتأثر بالأوهام، ينظر الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 16، ص258.

[2] المرجع نفسه، الجزء 16، ص259.

[3] المرجع نفسه، الجزء16، ص261.

فألقى سحرته وأثاروا الحلبة، وأوجسوا في قلب سيّدنا موسى- عليه السلام- خيفة، لكنّ نصر الله قلب الموازين، وتغيّر المشهد وألقى السّحرة سُجّداً رغم تهديد ووعيد فرعون، إلاّ أنّ اللمسة الإيمانية قد لمست قلوب السحرة، ليأتي المشهد الأخير مبيّنا أنّ المشاهد الأخرى ما هي إلاّ تثبي لفؤاد سيّدنا موسى-عليه السلام- وبثّ روح النصر والصّبر في نفسه، لأنّ ما سيراه سيكون أقوى وأعظم.

فأوحى الله إليه للخروج ببني إسرائيل هربا من بطش فرعون، فاتّبع سيّدنا موسى-عليه السلام- أمر ربّه وجاء النصر الأخير والمعجزة الأكبر چ ڀ ڀ ٺ ٺ ڀ چوما كانت " إلاّ بعد اكتمال حقيقة الإيمان في نفوس الذّين لا يملكون قوّة سواها"[1].

والعبرة التي يبرزها هذا السّياق: تتابع المشاهد بلا عائق من التفصيلات ليستيقنها أصحاب الدعوات، " ويعرفوا متى يرتقبون النّصر من عند الله وهم مجرّدون من الأرض"[2].

وهاهي التسلية في أدّق تفاصيلها، انتقال من مشهد إلى مشهد آخر برعاية ربّانية خالصة، لأنّ يد القدرة تدخّلت لإدارة المعركة.

9-2-الفوائد المستخرجة من القّصة:

جاءت قصّة سيّدنا موسى- عليه السّلام- لتعلّمنا، ففيها:

- تسلية سيّدنا موسى وأخيه هارون -عليهما السلام- بتثبيتهما يوم الزّينة ونصرهما وهزيمة فرعون وسجود السّحرة، فكان المشهد ضربة قاضية لملك فرعون.

- سلّى سيّدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بأنّ الفرج يكون قريبا كفرج سيّدنا موسى-عليه السلام- بنصره على سحرة فرعون يوم الزّينة والفرج بإهلاك فرعون وجنوده، وفلق البحر كالطود العظيم، فالفرج وعدٌ ربّاني.

[1] السيد قطب، في ضلال القرآن، ص2725.

[2] المرجع نفسه، ص2726.

– سّلاه أيضا بأنّ الأمة المسلمة سلاحها دعاءها خاصّة للدّين يستعجلون الفرج دون عقده بوقت، إضافة إلى أنّه سلاه بمصير الطّغاة كفرعون حتى لا ييئس من هلاك طغاة قريش.

– تسلية عباده المخلصين حاضرا ومستقبلا أنّ النصر والانتقام هو سنّة الله في الطّغاة والظالمين، ليطمئنوا ويثبتوا.

10- قصّة سيّدنا محمد –صلى الله عليه وسّلم- مع صاحبه أبي بكر

قال الله تعالى: چ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ چ[1].

10-1- تفسير الآيات

جاء في أيسر التفاسير" يا أيّها المؤمنون إذا لم تنصروا رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فإنّ الله ناصره ومؤيّده وكافيه، كما تولّى نصره حين أخرجه الذّين كفروا من مكّة حين هاجر، فخرج منها هارباً بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر، فلجأ إلى غار في جبل ثور ثلاثة أيام، وخرجت قريش في آثارهما حتّى وقفوا بباب الغار، فقال له أبو بكر جزعا: لو نظر أحدهم موضع قدميه لرآنا، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: ما ظنّك باثنين الله ثالثهما؟، فأنزل الله طمأنينته وتأييده ونصره على رسوله، وأيّده بالملائكة تحفظه وتحميه(بجنود لم تروها)، وجعل كلمة الشرك هي السفلى، وجعل كلمة الإيمان (لا إله إلاّ الله) هي العليا والله عزيز في انتقامه وانتصاره وهو منيع الجانب لا يُضام، وهو حكيم شرعه وتدبيره"[2]، وعليه فلقد ضاقت قريش بالرسول الكريم ودعوته، فتدّبروا أمرهم وأرادوا التّخلص منه، لكنّ الله أوحى إليه بالخروج ، لا صاحب له إلاّ أبو بكر الصّديق، فكانت العاقبة النصر المؤزّر من عند الله والهزيمة للذّين كفروا.

---

[1] سورة التوبة، الآية: 40.

[2] أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، الجزء الأول، ص465.

10-2- الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصّة صاحبي الغار:

رسم السّياق القرآني مشهد رسول الله –صلى الله عليه وسّلم– وصاحبه (إنّهما في الغار) لا عدّة ولا عتاد، غير أنّ النصر كان قد سبق وأمر الله قد حصل في قوله چ ۀ ہ ہ ہ چ لأنها " جملة الشّرط، جعلت جواباً له لأنّها دليل على معنى الجواب المقدّر لكونها في معنى العلّة للجواب المحذوف، فإنّ مضمون الشرط (فقد نصره الله) قد حصل في الماضي فلا يكون جواباً للشرط الموضوع للمستقبل، فالتقدير: إن تنصروه فهو غنّي عن نصرتكم بنصر الله إيّاه، إذ قد نصره في حين لم يكن معه إلاّ واحداً لا يكون به النصر، فكما نصره يومئذ ينصره حين لا تنصرون"[1] . لذلك قد يحدث ارتباك للذّين لا يعلمون قواعد اللغة في تفسير نصر الله ومتى وقع، وهذا يدّل على قوّة التركيب وانسجامه مع الدلالة، في سياق آخر فإنّ خروج الرسول– صلى الله عليه وسلم– من قومه كان ظاهره إكراهاً (إذ أخرجه) " أي زمن إخراج الكفار إيّاه(...) وأُسند الإخراج إلى الذّين كفروا لأنّهم تسبّبوا فيه بأن دبروا لخروجه"[2]؛ نعم أخرجه قومه بقسوتهم وتعنّتهم ظاهراً، فهم أرادوا عزله، وهذا مرادهم، لكّن الله أراد بخروجه انتشار الدعوة ونصرة نبيّه، فكانت إرادتهم إخراج النّبي –صلى الله عليه وسلم– مخذولاً، لكنّ إرادة الله أخرجته منصوراً، وكان النّصر في ثلاثة أزمنة، الزمن الأول **(إذ أخرجه الذّين كفروا)** فهذا النصر الأوّل **(إذ هما في الغار)** وهذا النصر الثاني، **(إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا)** وهذا النصر الثالث، فكلّها انتصارات ثبّت الله –عزّ وجّل– بها فؤاد نبيّه– صلى الله عليه وسّلم–.

وجانب التسلية ظهر في هذه الآيات حين بثّ رسولنا الكريم الطمأنينة والسكينة في نفس صاحبه بعد أن حزن خوفاً من مكر القوم بهم، فقال له (لا تحزن) فكانت الكافية الشافية التي أزاحت الهمّ عن قلب أبي بكر الصّديق، وزاد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بقوله (إنّ الله معنا)

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء10، ص201.

[2] المرجع نفسه، الجزء10، ص201.

ثقة صاحبه، وكأنّ لسان حاله يقول: نحن خرجنا طاعة لربّنا أفلا ينصرنا يا أبا بكر، ثق بالله ولا تخف.

وكانت بعض هذه السّياقات القرآنية التّي تحدّثت عن التسلية في القصص القرآني، في جانب قصص أنبياء الله –عزّ وجّل– ورسله ارتأينا أن نطّلع على قصص بعض الصالحين الذّين مسّتهم رحمة الله ومؤانسته.

10-3- الفوائد المستخرجة من القّصة:

انتشرت التسلية للنّبي–صلى الله عليه وسلم– في أغلب القصص القرآني ولعلّ أهمها:

– تسلية الله للنّبي–صلى الله عليه وسلم– وصاحبه أبي بكر في الموقف العصيب في غار ثور باللفتة الإيمانية العجيبة أنّ المعيّة مع الله: هي النّصر العظيم وأنّ من كان معه الله فمّما يخاف.

المبحث الثاني: الأبعاد الحجاجية في قصص النساء

1-قصّة السّيدة مريم -عليها السلام-

قال الله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ
ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ
ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ
ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ[1] .

1-1-تفسير الآيات:

جاء في تفسير الطبري:" يقول تعالى ذكره: فقال لها روحنا إنّما أنا رسول ربّك يا مريم أرسلني إليك لأهب لك غلاماً طاهراً من الذّنوب(...)، قالت مريم من أي وجه يكون لي غلام(...)، إذ لم يمسسني منهم أحدٌ على وجه الحلال(...)، فقال لها جبريل: هكذا الأمر كما تصفين، من أنّك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغيّاً، ولكن ربّك قال هو عليّ هيّن (...)، وكي نجعله لك علامة وحجّة على خلقي أهبّه لك(...)، فاعتزلت بالذّي حملته وهو عيسى، وتَنَحّت به مكانا نائياً قاصياً(...)، فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة(...)، وقالت يا ليتني متّ قبل هذا، ذكر أنّها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من النّاس(...)، فناداها ابنها عيسى* لا تحزني لما أنت فيه من الشّدة، وقد جعل ربّك تحت قدميك جدول ماء تشربين منه، وهزّي إليك جذع هذه النخلة التّي فوقك، فتسقط عليك ثمراً طازجا طرّيا(...)، فكلي واشربي وطيبي نفساً، وأبعدي عنك

---

[1] سورة مريم، الآيات: 19-26.

* اختلف العلماء حول من ناداها أهو جبريل -عليه السلام- أم هو الوليد، وقد رجّح الطّبري في تفسيره القول الثاني، فقال: بأنّ الذّي ناداها ابنها وذلك أنّه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبريل، فردّه على الذّي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذّي هو أبعد منه، ينظر الطبري، تفسير الطبري، المجلد5، ص150-151.

الهموم والأحزان، فإذا رأيت أحدا من البشر فلا تكلّميه، وأشيري إليه أنّك نذرت للرحمان صوماً عن الكلام، فاستسلمت لقضاء الله"[1].

وعليه خير نساء العالمين مريم ابنة عمران تأتيها البشارة بالحمل من المَلك، لكنّ حياؤها وعفّتها

1-2-الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصّة السيّدة مريم -عليها السّلام-

تعدّ قصّة السّيدة مريم -عليها السّلام- إعجازا إلهيا عظيما، ويأتي المشهد مشهد الخلق من غير أب وأمّ، وهذه القصّة تبرز لنا دلالات قوّية وحقيقية، نافية كلّ الأساطير والخرافات حول مولد سيّدنا عيسى -عليه السلام-، كما أنّ سياقها يُخرجها بمشاهد عجيبة، تبثّ في نفس القارئ انفعالاً وعواطف لم يسبق لها مثيل، ولعلّ أبرز مشاهدها، حمل العذراء التّي كانت قّديسة في قومه،في قومها، وكيف تحمل، تأتيها نفخة الرّوح في خلوتها،فتنتفض، وكان أوّل الابتلاء خلوة بينها وبين الرّجل الذّي ظهر من العدّم، وحملها من غير حول منها ولا قوّة، لكنّه **(عليّ هيّن)** قال السيّد قطب في هذا " أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرّية إرادته، ورحمة لبني إسرائيل أوّلاً وللبشرية جمعاء"[2].

ليأتي المشهد الذّي يليه ويحين موعد الولادة، لتجد السيّدة مريم -عليها السّلام- نفسها وحيدة، وكان هذا ابتلاءها الثاني وكان أعظم، فعانت ألم المخاض وهي فتاة لا تعلم عن الحدث شيئا، واستندت بكلّ قوّتها إلى جذع النخلة، وقالت(يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسّيا)، ومن السّياق نستشعر قسوة الموقف عليها وحدّته ووقع الألم عليها، يقول الطاهر بن عاشور عن وقع هذه الآية في نفس القارئ:" وجملة (قالت) استئناف بياني، لأنّ السامع يتشّوق إلى معرفة حالها عند إبان حملها بعد ما كان أمرها مستتراً غير مكشوف بين الناس، وقد آن لينكشف فيُجاب السامع بأنّها تمنت الموت قبل ذلك، فهي في حالة من الحزن ترى أنّ الموت أهون عليها من

[1] أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، الجزء1، ص 732.

[2] السيّد قطب، في ضلال القرآن، ص 2681.

الوقوع فيها، وهذا دليل على مقام صبرها وصدقها في تلقّي البلوى التي ابتلاها الله تعالى، فلذلك كانت في مقام الصّدقين"[1].

ويأتي فرج الله على لسان مولود ولد اللحظة " يطمئن قلبها ويصّلها بربّها"[2]، فها هو يتحدّث إليها وكأنّ لسان حاله يقول: نعم إنّني معجزة الله يا أمّاه فلا تقلقي ولا تخافي ولا تحزني، فهو بهذا الحديث قد أدهشها وطمأنها إلى أنّ الله لن يتركها، وكلي واشربي، واعلمي أنّ الله لم ينسك، فأجرى لك في الصّحراء جدولاً سارياً وأنبت لك من جذع النخلة رطباً، وما هذه الأمور إلاّ كرامات خصّ الله –عزّ وجّل– بها سيّدتنا مريم العذراء –عليها السّلام–، وهذا السيّاق يوضّح لنا قوّة الابتلاء الذّي واجهته السيّدة مريم ووضّح لنا كيف أن الله سلاّها بأن أنطق لها من كان في المهد صبّيا.

1-3-الفوائد المستخرجة من القصّة:

ظهرت كرامات السيّدة مريم– عليها السلام– وحمة الله بها منذ صغرها، فكان المؤنس لها في وحدتها فكانت التسلية:

- تمثّل المَلك بصورة البشر حتى لا تخاف منه، وتستأنس بكلامه وتطمئن له.
- تسليتها يوم المخاض ودعوتها إلى عدم الحزن والخوف وبأنّ الله معها في كلّ خطواتها، وتسليتها بصيامها وإنطاق رضيعها حتى تكون المعجزة والنصر أعظم.
- تسلية أولياء الله في شدائدهم بنصرهم ومراعاة أحوالهم ومساندتهم في الطريق.

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 16، ص85.

[2] السيّد قطب، في ضلال القرآن، ص2682.

2- قصّة أم سيّدنا موسى -عليه الصلاة والسّلام-

قال الله تعالى:چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ
ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ
ڌ ڌڈ چ[1] .

2-1-تفسير الآيات:

جاء في تفسير الطبري: " يقول تعالى ذكره ولقد منّنا عليك يا موسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمّك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدته في التابوت(...) في اليم، وهو جزاء أُخرج مخرج الأمر، كأنّ اليّم هو المأمور(...) فيأخذ العدّو وهو فرعون(...) وأُحَبّبه إلى زوج فرعون السيّدة آسيا، حتّى تتبته وغذّته (...)، ولتغذى وتربّى على محبّتي وإرادتي، وأمّا قوله (إذ تمشي أختك فتقول هل أدّلكم على من يكفله) حين تمشي أختك تتبعك فتقول هل أدّلكم على من يكفله(...)، فرددناك إلى أمّك بعدما صرت في أيدي آل فرعون، كما تقّر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليّم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون أن يقتلك"[2].وجاء في قوله تعالى:چ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃچ[3].

وجاء في تفسير الطبري لهذه الآيات:" وقذفنا في قلب أم موسى أمرت أن تلقيه في اليّم بعد ولادتها وبعد رضاعتها(...)، فإذا خافت عليه من عدّو الله فرعون(...)، ولا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه(...)، فإنّا رادو إليك ولدك لتكوني أنت من ترضعينه، وباعثوه رسولاً إلى من تخافين عليه أن يقتله"[4].

وما يظهر في سياق الآيتين أمر عجيب، فكلتا القصّتين جاءت لتحكي الابتلاء العظيم الذّي أصاب أم سيّدنا موسى- عليه والسلام- وهي لتُلقي ابنها في اليّم العظيم طاعة لأمر الله -عزّ

1 سورة طه، الآية: 39-40.
2 الطبري، تفسير الطبري، المجلد5، ص195.
3 سورة القصص: الآية:7.
4المرجع السابق،المجلد6، ص8.

وجّل–، فكان التّوكل والصبر والثّقة بالله –عزّ وجّل––، فأي طمأنينة لا مستقبلها وأيّ ثبات وأيّ تضحية، ووعد الله –عزّ وجّل–بإرجاعه إليها وجاعلوه من المرسلين.

2-2-الأبعاد الحجاجية لقصّة أم سيّدنا موسى –عليه السّلام–

لقد حمل السّياق في القصّتين مفارقات عجيبة بين الإلقاء في اليّم والقذف فيه، وكيف راع ربّنا فؤاد أم موسى، وهذا ما تحدّث عنه الدكتور فاضل السمرائي مفصّلاً وجه الإعجاز فيه فقال "في القذف لا ربط على القلب ولا تخفيف ولا تطمين، وذكر التابوت أي يلقي الرّضيع وهو في التابوت في اليّم، إذن هو محمي، لكن إلقاء غير، فحين قال لها ألقيه في اليّم لم يذكر التابوت، وإنّما قصد الرضيع الصغير لذلك جاء التثبيت والتطمين"[1].

هكذا كان التثبيت والتسلية من الله –عزّ وجّل– لفؤاد أم موسى –عليه السلام–، فكان الابتلاء عظيماً، ولكنّ الوعد أعظم، فكأنّها جعل تابوت موسى قذيفة تغشي فرعون وجنوده في اليّم، موضّحا نهاية الظّالم الذّي بسببه فُرق بين الولد وأمّه، فكان هلاكه البحر الذّي أُلقي فيه الرّضيع، ولقد حملت القّصتين تراكيب متناسقة بحيث صوّرت المشهد وكأنّنا نراه، قذف في التابوت وقذف في اليم وإلقاء التابوت في السّاحل، وفي زحمة القذف هذا وُضع الرّضيع الضعيف في عقر دار عدّوه، "فهي مقابلة عجيبة في تصوير المشهد، مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التّي تتربّص بالطفل الصغير(...) والرحمة الليّنة اللّطيفة التي تحرسه من المخاوف وتقيه من الشّدائد"[2].

هكذا ثبّت الله وسلى نفس العباد الذّين أطاعوا أمره وتوّكلوا عليه، فكان حسيبهم، ويسدل الستار على المشهد العظيم، وعلى القدرة الإلهية التي تحدّت فرعون وهامان، وهم يُقَتلون الذُّكران ويترصّدون بهم، لكن الله أراد غير هذا وكان ما أراد، يتربى الطفل الذّي يهلكهم في بيته من غير حول له ولا قوّة، وما هذا إلى الوعد الموثوق من نصر ربّ العالمين.

---

[1] فاضل السمرائي، لمسات بيانية، سورة القصص، نقلا عن موقع تلفزيون الشارقة، حلقة 299، الجزء الأول.

[2] السيّد قطب، في ضلال القرآن، ص 2712.

وهذان نموذجان من قصص نساء المسلمين اللتّان ابتلاهما الله –عزّ وجّل– ابتلاء الرّجال فكانتا على قدر المسؤولية والطّاعة والثبات والصّبر، وارتأينا أن نذكر قصص الصالحين، وما رأوا من أقوامهم أيضاً وأنّ الابتلاء والصبر والطمأنينة طال عباد الله –عزّ وجّل–.

2–3–الفوائد المستخرجة من القصّة:

قصّة أم موسى عجيبة فريدة عن ثبات الأم وعزمها على حماية نسلها، وكيفية رعاية الله –عزّ وجّل– بعد أن فرغ فؤادها من رمي ابنها في اليّم من غير حول ولا قوّة ومنها:

- تسلية أم موسى قال الزمخشري" ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤه غبطة وسرورا وردّه إليها وجعله من المرسلين"[1].
- تسلية المسلمين الواثقين بوعد الله وتحقّقه لا محالة، سواء كان آجلا أو عاجلا، وأنّ الأسباب في الله فلم تزّده أمه ولا أخته، وإنّما ربّ العالمين.

المبحث الثالث: الأبعاد الحجاجية في قصص الصالحين

1–قصة مؤمن آل ياسين

[1] الزمخشري، الكشّاف، الجزء3، ص393.

قال الله تعالى:ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ
ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ ﭼ[1].

1-1- تفسير الآيات:

جاء في تفسير الطبري قوله:" وجاء من أقصى المدينة هؤلاء القوم الذّين أرسل إليهم هذه الرّسل رجل يسعى إليهم(...)، وكان أسمه حبيب بن مرى(...)، فقال لهم اتّبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجراً وهم على استقامة من طريق الحق(...)، وأيّ شيء لي لا، أعبد الرّب الذّي خلقني وإليه تصيرون أنتم أيّها القوم وترّدون جميعا(...)، وقوله (أأتخذ من دونه آلهة) أي أعبد من دون الله آلهة، يعني معبودا سواه (...)، ولا تغني عني شفاعتكم ولا ترّد الضّر عني(...)، ويقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك نلقيه(داخل الجنة) فلما دخلها وعاينها ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره، قال: يا ليتهم يعلمون أنّ السبب الذّي من أجله غفر لي ربّي ذنوبي، وجعلني من الذّين أكرمهم الله بإدخاله إيّاه بجنّته، كان إيماني بالله وصبري فيه حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة"[2].

وعليه سمع آل ياسين ما أصاب الرّسل الثلاثة[3] على الرّغم إصابته فإنّه جاء ساعيا راكضاً للقوم لدعوتهم لإتباع الرسل، واتركوا ما تعبدون، آمنوا كما أمنت، كان رجلا صالحا عابداً، لكن القوم الظالمين بطشوا به وعذّبوه رميا بالحجارة، لكن ما كان لسانه له إلاّ داعيا(ربّ اصلح قومي فإنّهم لا يعلمون) يدعوهم وهو تحت وطأة أقدام الظالمين، دخل الجّنة وهو يهتف بالقوم الظّالمين، يتمنى هدايتهم وأن يُرزقوا ما رزق، ولكنّ الله ما رأى في نفوسهم خيراً وحاق بهم تكذيب رسلهم

[1] سورة يس، الآية: 20-27.

[2] الطبري، تفسير الطبري، المجلد6، ص271-272.

[3] الرّسل الثلاثة : هم رسل الله إلى القرية في أنطاكيا، تأييدا لعيسى عليه السلام، فكذّبوا فأيّدهم الله برسول ثالث، لكن القوم كذّبوهم وأصّروا على كفرهم، ينظر أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، الجزء1، ص 1081 .

وقتلهم الرّجل الصالح البريء، فأرسل عليهم ربّهم عذاب الصيحة*[1] فكان النموذج الذّي اتبّع الذّكر وخشي الرحمان بالغيب.

1-2-الأبعاد الحجاجية للتسلية في قصّة مؤمن آل ياسين:

يعدّ أثر هذه القّصة في نفوس الدارسين إلهاماً عظيماً، فالتصوير الفنّي لمجيء الرّجل هرولة بعد سماع خبر القوم بتكذيب رسلهم، حمّله مسؤولية الدعوة في مساندة الرسل ليدّل على صلاحه وثباته، فكان رجلاً عجيبا، ظهر ذلك في السّياق، خاصة في الحوار الذّي بينه وبين قومه، وبينه وبين نفسه، فتارة يدعو قومه **(يا قوم اتّبعوا المرسلين)**، وتارة يذكر نفسه**(وما لي لا أعبد الذّي فطرني)** دعا قومه وحمل همّ دعوتهم ومجابهتهم والتّعرض لأذاهم، وهو لا يريد جزاءً ولا شكوراً، إنّها قوّة الإيمان والصبر والثّبات في نفس كلّ عارف بسّر الدّين وحبّ الله، ويأتي المشهد وكأنّ الرجل يناشدهم ويشّد على أيديهم ويدعوهم إلى تذّوق ما يشعر به، لكنّ سياق القصّة أوحى بعد ذلك أنّ القوم كادوا به وقتلوه، ويرفع إلى جنّة الخلود، بعدما لقيه من قومه من ضرب وأذى وأشد العذاب، ليسمع أجّل نداء (قيل ادخل الجنة) وينتقل من الشّقاء إلى النعيم، ومن " تطاول الباطل إلى طمأنينة الحقّ، ومن تهديد البغي إلى سلام النّعيم، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين"[2]

وبهذا تظهر التسلية في أسمى معانيها، واذكر يا محمد لأصحابك ما أصاب مؤمن آل ياسين من شدّة الابتلاء والإصابة والعذاب الشّديد، لكن ذلك لم يثن عزمه على الدعوة إلى الله -عزّ وجّل- ونشر رسالته وتذوّق حلاوة الإيمان، واطمئن يا محمد أنت ومن معك بأنّ جزاء الصبر والابتلاء قوله (قيل ادخل الجنّة).

1-3-الفوائد المستخرجة من القصّة:

* الصيحة هي العذاب الذي أصاب القوم الذين كذّبوا المرسلين، هي صوت مهلك من السّماء، ينظر أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، الجزء الأول، ص1083.

[2] السيد قطب، في ضلال القرآن، ص3455.

فيها الفوائد والعبر الكثير، فبعد تكذيب الرّسل وتهديد الدّعاة، كان التّلطف هو أسلوب الرّد وتعاملهم، فظهرت التسلية في شدّة جوانب:

- تسلية المرسلين بشّد عضدهم بإرسال آخرين لتثبيتهم بعد التهديد بالقتل.
- تسلية الرجل المؤمن المتلّطف بهم في الدعوة ولين القول، ومقابلة القبح بالحسن بإدخاله الجنة بعد قتله، وإنزاله منزلة الشهداء.
- تسلية الرسول-صلى الله عليه وسلم- بالصبر واحتساب الأجر عند الله، والدعوة إلى اللين واللطف في التعامل مع الأقوام الجاحدة، والصبر عليهم لأنّ ثباتهم على الجحود سنة أيضا في عقولهم.
- تسلية المسلمين خاصة المجاهدين منهم والحاملين همّ تبليغ الرسالة، بأنّ ثواب الصبر والدفاع عن الدّين لهو أجر عظيم، وأنّ من يرفع رسالة الله فإنّ له مكانا ومقاما عالياً.

2- قصّة أصحاب الكهف

قال الله تعالى:چ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ
ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ
ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ
ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ
ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ
ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ
ﯣ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯤ
ﯥ ﯦ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ

ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ[1]

تفسير الآيات:

جاء في تفسير ابن الكثيرﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﭼ "هذا إخبار من الله تعالى عن قصّة أصحاب الكهف(...) يعني يا محمد ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا(...)، وما أظهرت من حججي على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرّقيم* ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ يُخبر الله تعالى عن أولئك الفتية الذّين فرّوا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منهم فلجئوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم(...)، فذكر أنّهم فتية وهم الشّباب، وهم أقبل للحّق(...)، وفارقوا ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسّعادة والنعمة، وقيل أنّهم كانوا أبناء ملوك الروم(...)، يقال إنّ ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهدّدهم وتوعّدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذّي كان عليهم من زينة قومهم، وأجلهم لينظروا في أمرهم، لعلّهم يراجعون دينهم الذّي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنّهم في تلك النظرة، توّصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة(...)ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ فعند ذلك خرجوا هروبا إلى الكهف، فآووا إليه فتفقّدهم قومهم من بين أظهرهم، وتطلبّه الملك، يقال: إنّه لم يظفر بهم(...)،وضرب الله على آذان بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلا(...)، وكانوا يقبلون في العام مرّتين، وكان بباب الكهف كلب يحرسهم(...)ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﭼ فألقى الله عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلاّ هابهم، حتى ليبلغ الكتاب أجله، لما له من في ذلك من الحكمة والحجّة البالغة والرحمة الواسعة(...)ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﭼ أي بعثناهم بعد

[1] سورة الكهف، الآيات: 9-22.

* الرقيم : الجبل الذّي في الكهف، وقيل: لوح من الحجارة، وقيل الكتاب: كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثمّ وضعوه على باب الكهف، ينظر ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، ص179.

ثلاثمائة سنة وتسع سنين(...)چ ٱ ب ب ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ى ى ئا ئا ئا ئا ئە ئە ئە ئە ئو ئو ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم لم نم نه يم يه ـّ ـَ ـً ـُ ـٌ ـِ ـٍ ـْ ـّٰ ٱ ٻ ٹ ڀ ٺ ٿ ڤ ڦ ڄ ڃ چ ڇ ڍ ڌ ڎ ڈ ژ ڑ ک گ ڳ ڱ ں ڻ ۀ ہ ھ ے ۓ ڭ ۇ ۆ ۈ ۋ ۅ ۉ ې ى ئا ئە ئو ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئى ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم لم نم نه يم يه ـّ ـَ ـً ـُ ـٌ ـِ ـٍ ـْ ـّٰ أي كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيأتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزّمان(...) فجعل الله ظهورهم حجّة لأمر القيامة"[1].

وعليه فتية الكهف شباب في عمر الزّهور، آثروا الحياة الدنيا وفتنتها، فلجؤوا إلى غار في جبل وضرب الله على آذانهم، فناموا سنين معدودة، ليبعثوا من رقدتهم، هم ليسوا رسلاً يواجهون أقوامهم بالعقيدة الصّحيحة، ليصبروا ويلحق بهم ما لحق بالرّسل، إنّما هم فتية تبيّن لهم الهدى وسط الكفر والظلم.

2-1-الأبعاد الحجاجية للتسلية في القصص القرآني:

قال ابن عاشور:" ادمج فيها إنذار المعاندين الذّين نسبوا لله ولداً، وبشارة للمؤمنين وتسلية رسول-صلى الله عليه وسلم- عن أقوالهم حيث تريّث الوحي لما اقتضته سنة الله مع أوليائه من إظهار عتبه على الغفلة عن مراعاة الآداب الكاملة"[2].

وقد ذكر ابن كثير" يقول تعالى مسّليا رسوله-صلى الله عليه وسلم- في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ى ى ئا ئا ئا ئا ئە ئە ئە ئە ئو ئو ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم لم نم نه يم يه ـّ ـَ ـً ـُ ـٌ ـِ ـٍ ـْ ـّٰ ٱ ٻ ٹ ڀ ٺ ٿ ڤ ڦ ڄ ڃ چ ڇ ڍ ڌ ڎ ڈ ژ ڑ ک گ ڳ ڱ ں ڻ ۀ ہ ھ ے ۓ ڭ ۇ ۆ ۈ ۋ ۅ ۉ ې ى ئا ئە ئو ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئى ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم لم نم نه يم يه ـّ ـَ ـً ـُ ـٌ ـِ ـٍ ـْ ـّٰ فلا تأسف عليهم ، بل بلّغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضّل فإنّما يضل عليها، ولا تذهب نفسك حسرات عليهم"[3]، وقال ابن عاشور في موضع آخر" والذّي يبدوا أنّها تسلية للنّبي -صلى الله عليه وسلم- على إعراض المشركين بأنّ الله أمهلهم وأعطاهم زينة الدنيا"[4].

كلّ هذا يدّل على أنّ القصة جاءت في مجملها تسلية للنّبي-صلى الله عليه وسلم- فكانت قوّة الخطاب وقوّة الألفاظ وقوّة المشاهد البارزة، فكانت قوّة الخطاب موجّهة من الله إلى النّبي چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ى ى ئا ئا ئا ئا ئە ئە ئە ئە ئو ئو ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم لم نم نه يم يه ـّ ـَ ـً ـُ ـٌ ـِ ـٍ ـْ ـّٰ ٱ ٻ ٹ ڀ ٺ ٿ ڤ ڦ ڄ ڃ چ ڇ ڍ ڌ ڎ ڈ ژ ڑ ک گ ڳ ڱ ں ڻ ۀ ہ ھ ے ۓ ڭ ۇ ۆ ۈ ۋ ۅ ۉ ې ى ئا ئە ئو ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئى ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم لم نم نه يم يه ـّ ـَ ـً ـُ ـٌ ـِ ـٍ ـْ ـّٰ چ يقول ابن عاشور" (أم) انتقال من الديباجة والمقدّمة إلى المقصود ،

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد 4، ص179-184.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المجلد 15، ص245.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد4، ص178.

[4] المرجع السابق، المجلد15، ص256.

وهي منقطعة بمعنى بل وهي ملازمة لتقدير الاستفهام معها"[1]، أي يا محمد هل تعتقد فعلا أنّ قصّة الكهف كانت من أعجب قصصنا، و لك معنا قصّتك أنت وصاحبك في الغار، وعجائب الخلق وعجائب البعث، وفي هذا التفاتة للاهتمام بالإتّعاض وأخذ الحذر والموعظة بدل الاهتمام بالعجائب في القصص.

كذلك (من) تدّل على التبعيض، أي هي من عجائبنا لكّنها ليست الأعظم. كذلك الخطاب في قوله ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼيقول ابن عاشور" وهذا شروع في مجمل القّصة والاهتمام بمواضع العبرة منها، وقدّم منها ما فيه وصف ثباتهم على الإيمان ومنابذتهم قومه الكفرة ودخولهم الكهف"[2]، ليدّل على أنّ قصصهم سردت بالحق وأنّ ما عند غير الله فهو باطل يا محمد، فجاء الضمير المنفصل "نحن" يفي الاختصاص أي نحن لا غيرنا نقصّ الحق.

كذلك جاءت المشاهد كلّها متسلسلة مترابطة للفتية وما عانوه من الظلم والأذى، وكيف واجهوا ذلك ونصر الله لهم.

(إنّهم فتية) (إذ قاموا) (ربطنا على قلوبهم) (قالوا ربّنا) (لن ندعوا) كلّها تراكيب حملت دلالات قوّية على صبر الفتية ومواجهة الظلم ونصر الله –عزّ وجّل– لهم ليأتي تحقيق رجائهم في ربّهم، (ينشر لكم ربّكم من رحمته)،(ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال) (تزاور عن كهفهم)، كلّها آيات عظيمة ورحمات ربّانية سيّرها الله –عّز وجّل– لحفظ الفتية الذّين باعوا الحياة الدنيا وهربوا إليه فسلّاهم الله –عزّ وجّل– وآنسهم في كهفهم وأرقدهم إلى أجل يعرفه وحده.

فالتسلية كانت للنّبي–صلى الله عليه وسلم– ردّا على قومه، وكانت أيضا للفتية الذّين هربوا خوفا من القوم الظّالمين، وكيف أكرمهم وطمأن قلوبهم وقلوب أقوامهم بوقوع البعث يوم القيامة بالطّريقة ذاتها.

2-2-الفوائد المستخرجة من القصّة:

[1] المرجع نفسه، المجلد15، ص259.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص271.

لعلّ أهم العظات المستفادة:

– كانت التسلية بارزة للنّبي– صلى الله عليه وسلم– بحيث دعاه الله –عزّ وجّل– إلى عدم الحزن على القوم الكافرين، وأنّ ما أنزله هو الحّق المبين، وأنّ الله سينصره على القوم الكافرين وأنّه يعلم كيدهم.

– التسلية أيضا برزت حين نصر الله فتية الكهف على أقوامهم، وأخذهم إليه وضرب بهم مثلاً للبعث ويوم القيامة، بعد أن أرقدهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين.

– التسلية أيضا برزت للباحثين والدعاة وللمسلمين أجمعين على أنّ البعث حق، وأنّ الساعة حق وأنّ من يتبع سبيل الله ويتوّكل على الله فإنّه حسبه وناصره.


خاتمة

آن لنا وقد نظرنا إلى التسلية في النص القرآني أن نجمع شتات بحثنا، وأن نضمّ خلاصته من خلال عرض أهم نتائجه التي أفضى إليها البحث، ولقد خرج البحث بنا إلى النقاط التالية:

- ✓ إنّ أهّم شيء يقوم عليه الحجاج هو تقديم الأطروحات التي تدعوا العقول إلى التدبّر الموضوعي والواعي في القضايا المقدمة، بُغية بناء الرأي الصحيح فهو يمثّل قوة تدفع المخاطب إلى التفكير والتّأمل من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معيّنة.
- ✓ إنّ النضج الذي عرفته المجالات المعرفية المختلفة من منطق ولسانيات وعلم النفس والبلاغة، جعلت الدراسات الحجاجية تحظى بأهمية كبرى، وهذا الاهتمام نابع من استلهام الموروث البلاغي الفلسفي وإحياء التراث اليوناني عند الغرب، وإحياء التراث البلاغي عند العرب.
- ✓ ظهر الحجاج في التراث البلاغي العربي مرادفاً للجدل واستخدم كلّ من المصطلحين مترادفين في التراث العربي.
- ✓ اهتمام البلاغة العربية باستراتيجية الإقناع، من خلال تناولها لأهم الوسائل اللغوية وغير اللغوية المؤدية للاستمالة والتأثير والإقناع.
- ✓ القصص القرآني يُستفاد منه التأّسي بالأنبياء في إدارة شؤون الناس رغم مهمة النّبوة المكلّفين بها.
- ✓ القصص القرآني لا يُراد به السرد التاريخي وذكر الأشخاص، وإنّما أخذ العبر والاتّعاظ وتذّكر أحوال السابقين.
- ✓ أظهر القصص القرآني أنّ الابتلاء سنّة باقية وليست حادثة ماضية، وأنّ أشّد الناس ابتلاءً هم الأنبياء بسبب دعوتهم.
- ✓ جاءت التسلية لأهل الابتلاء عموما ولنبيّنا المصطفى الحبيب –صلى الله عليه وسلم–.

- ✓ مواطن التسلية كانت كثيرة منها ذكر قصص الأقوام الغابرة مع أنبيائهم وما أصابهم من خزي في الدنيا والآخرة، وذكر نصر الله لأنبيائه وتفريج همومهم.
- ✓ تضمّن القرآن الكريم الكثير من آيات المواساة والتسلية وتثبيت الفؤاد خاصة فؤاد النّبي – صلى الله عليه وسلم– لعظم ما تحمّله من مشاق الدعم.
- ✓ آيات التسلية التي جاءت في القصص القرآني صالحة لكلّ من سلك طريق الدعوة، والإصلاح وتحمّل الأذى في سبيل ذلك.
- ✓ قصص النساء في القرآن جاءت لتؤكّد دور المرأة المسلمة في سبيل الدعوة والإصلاح.
- ✓ قصص الصالحين التّي ذكرت تحمل دروسا نافعة في التّسلية والمواساة وتفريج الكروبات.
- ✓ دعوة القرآن للحثّ على الصبر ومنزلة الصابرين.
- ✓ كان مناط التسلية الدعوة إلى الصبر لعظم جزاء الصابرين، وعند الحزن لأنّه أمر زائل ومحالة، وأنّ العاقبة للمتّقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



قائمةالمصادر

و المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: قائمة المراجع:

1- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، د/ط، 1984م.

2- ابن منظور جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، 2000م.

3- أبو اسحاق إبراهيم بن سّري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د: عبد الجليل عبدو الشّلبي، عالم الكتب، الجزء الأول.

4- ابو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.

5- ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،2006م.

6- أبو قاسم جار الله الزّمخشري، الكّشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تحقيق: الشّريف علي بن محمد بن علي السّيد وأحمد بن محمد الإسكندري،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، الجزء الأول، 2006.

7- أبي الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق: د مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، العزيزية مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، 1988.

8- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، جواهر القرآن ودرره، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة حديثة، 1971.

9- أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، شارع زنوبيا، مشق، الطبعة الرابعة، الجزء الأول.

10- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب،الطبعة الأولى،2011.

11- جلال الدّين السيّوطي، لباب النقول في أسباب النزّول، تحقيق: ياسر صلاح عزم، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، د ط.

12- الحافظ بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم العظيم، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، المجلد الخامس، 2015.

13- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات لكلّية الآداب والعلوم، الرباط، الطبعة الأولى، 2006.

14- حمو النقاري، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأوّلي، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2005.

15- دريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث وجدار الكتاب العالمي، الأردن، الطبعة الأولى، د/ت.

16- الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

17- سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، مدينة نصر، مصر، الطبعة الشرعية المعاصرة، 1988.

18- شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، مطبوعات جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، سلسلة آداب، مجلدxxx1x، د/ط، د/ت.

19- الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004م.

20- صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1958.

21- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1992.

22- صولة عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهّم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، لبنان، الطبعة الأولى، 2001م.

23- طلبة محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار كتاب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م.

24- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية،2000.

25- عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،1998م.

26- عبد القادر الحمراني، الحجاج في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف.

27- عبد الله بن عمر بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

28- عبد المجيد التركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن الحزم والباجي، تحقيق: د عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986.

29- فضل حسين العباس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة، 2010.

30- محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لصور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1995، ص95.

31- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، دار المنهل بيروت.

32- محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تفسير الطبري، تحقيق: د بشار عوادة معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، 2015.

33- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده أساليبه ومعطياته، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

34- محمد شحرور، القصص القرآني، دار الشّافي، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010.

35- محمد صغير البناني، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1983.

36- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى، 2005.

37- مصطفى ديب البغا محي الدّين ديب ساو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطّيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، د ت، الطبعة الثانية، 1998.

38- مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2000.

ثانيا: قائمة المجلات والدوريات:

1- أبو بكر العزاوي، نحو المقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب، السنة الثانية، العدد4، شوال، 1991.

2- رشيد الراضي ، الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد34، سبتمبر2005م.

3- نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي، مجلة العلوم الانسانية، السنة السابعة، العدد44، شتاء2010م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1- هشام فروت، تجلّيات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية –أنموذجا–، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربية، تخصص لسانيات عربية، 2008–2009.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

1- فاضل السمرائي، لمسات بيانية، سورة القصص، نقلا عن موقع تلفزيون الشارقة، حلقة 299، الجزء الأول.

2- http:// www.islamweb.net


الفهرس

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة.....أ-هـ

الفصل الأوّل: القرآن الكريم والحجاج.....04-36

المبحث الأول: القرآن الكريم: حجّيته وأقسامه.....04-14

المبحث الثاني: حجّية وحجاجيّة النّص القرآني.....14-30

المبحث الثالث: تقنيات الحجاج.....31-33

الفصل الثاني: حجاجيّة التسلية في القصص القرآني.....40 -57

المبحث الأول: مفهوم القصص القرآني وأغراضه.....38-45

المبحث الثاني: مفهوم التسلية وأدّلتها من القرآن الكريم.....46-53

المبحث الثالث: أثر التسلية في القصص القرآني عند المتلّقي..... 54-56

الفصل الثالث: دراسة العوامل الحجاجية في سورة الكهف.....60-115

المبحث الأول: الأبعاد الحجاجية في قصص الأنبياء.....60-101

المبحث الثاني: الأبعاد الحجاجية في قصص النساء.....102-107

المبحث الثالث: الأبعاد الحجاجية في قصص الصالحين.....108-115

خاتمة 117-118

قائمة المصادر والمراجع.....120-124

الفهرس.....126